بعون الله الخلاق أحسن توفيق [illegible]

قد استتب طبع الرسالة العجيبة والصحيفة الغريبة المسماة

بكمال الطهارة في بيان [illegible]

على [illegible] الأفخم والحاكم المجد الأعظم [illegible]

في المطبع العلوي المنسوب إلى علي بخش خان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نتوجه إليك ونسعى نحوك ونجاهد نفوسنا في طاعتك ونركب الصراط المستقيم الذي يوصلنا إلى رضاك
فأعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك وفضلك
إنك على ما تشاء قدير غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة
ويكون مع ذلك سهلا علينا لا كلفة فيه ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق إلى
ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولأي شيء أوجدت فينا أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها
التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي نزكيها
فتفلح وندسيها فتخيب فإن الله عز وجل يقول ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دساها ولما كان لكل صناعة مبادي عليها تبتنى وبها تحصل وكانت تلك المبادي واخوتها عن صناعة أخرى
فليس في شيء من هذه الصناعات أن يبين مبادي نفسها كان لنا عذر واضح في ذكر مبادي هذه الصناعة على طريق
الإجمال والإشارة بالقول الوجيز وإن لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما قصدناه من إصلاح الخلق الشريف
الذي تصدر به أفعالنا ذاتيا لا على طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة أعني المكتسب بالمال والمكاثرة والسلطة
والمغالبة ولا الاصطلاح والمواضعة فنقول وبالله التوفيق قد تبين أن في الإنسان شيئا ليس بجسم ولا بجزء من جسم ولا عرض ولا أنه
يحتاج في وجوده إلى قوة جسمية بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ثم نبين ما مقصودنا منه الذي خلقنا له

اليه **فنقول** انا لما وجدنا في الانسان شيئا ما يضاد الاجسام واجزاء الاجسام بحده وخواصه وله افعال ايضا وافعال
الجسم وخواصه حتى لا يشاركه في حال من الاحوال وكذلك نجده يباين الاعراض ويضادها كلها غاية المباينة ثم وجدنا
هذه المضادة والمباينة منه للاجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمنا
بان هذا الشيء ليس جسما ولا جزء من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وايضا فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية
ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص **وبيان ذلك** ان كل جسم له صورة ما فانه ليس يقبل صورة اخرى من جنس صورته الاولى الا
بعد مفارقته الصورة الاولى مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا من الاشكال كالتثليث مثلا
فليس يقبل شكلا اخر من التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل صورة نقش وكتابة
او اي شيء كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة فان بقي فيه شيء
من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل يختلط فيه الصورتان فلا يخلص له احدهما على التمام مثال ذلك
انه اذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم النقش الاول وكذلك الفضة
اذا قبلت صورة الخاتم وهذا الحكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد انفسنا تقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات
والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة الاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا ولا تزال
تقبل صورة بعد صورة ابدا دائما من غير ان تضعف او تقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يرد عليها من الصور
بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام ولهذه
العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست النفس اذن جسما فاما انها ليست بعرض
فهو بين من قبل ان العرض لا يحمل عرضا لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا
الجوهر الذي وصفنا حاله هو ابدا حامل باتم واكمل من حمل الاجسام الاعراض فاذن النفس ليست جسما ولا جزءا
من جسم ولا عرضا **وايضا** فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسما يحصل في النفس في قوتها المتخيلة
من غير ان يصير به طويلا ولا عريضا ولا عميقا بل لا يصير جسما البتة ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم تكيفت بها
اعني اذا تصورت الالوان والطعوم لم تتصف بها كما تتصف الاجسام ولا يمنع بعضها قبول ضده كما نرى في الجسم
بل يقبلها كلها في حالة واحدة بالسوية وكذلك حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول تتصوره قوة على قبول غيره

دائما ابدا بلا نهاية وهذه حال مقابلة لاحوال الاجسام وخاصة فى غاية البعد من احوالها **وايضا** فان الجسم وقواها
لا تعرف العلوم الا من الحواس لا تميل الا اليها فتشتاقها بالملابسة والمشابكة مثل الشهوات البدنية ومحبة الانتقام
الغلبة وبالجملة كلما يحس ويصل اليه بالحس فهو يزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تماما وكمالا لانها مادية واسبابه
فهو يفرح بها ويشتاق اليها من اجل انها تتم وجوده ويزيد فيه وتمده فاما هذا المعنى الآخر الذى سميناه نفسا فانه كلما تباعد من
هذه المعانى البدنية التى احصيناها وتدلف الى ذاته وتخلى عن الحواس بالاثر ما يمكن ازداد قوة وتماما وكمالا ويظهر له الآراء
الصحيحة والمعقولات البسيطة وهذا ادل دليل على ان طباعه من غير طباع الجسم البدنى وانه اكرم جوهرا وافضل طباعا من كل ما
فى هذا العالم من الامور الجسمانية البدنية **وايضا** فانه يشتاق الى ما ليس فى طباع البدن ويحرص على معرفة حقايق الامور الالهية ويميل الى
الامور التى هى افضل من الامور الجسمية وايثاره له وانصرافه عن الامور واللذات الجسمانية البدنية لتحصيل اللذات العقلية يدلنا
دلالة واضحة على انه جوهر اعلى واكرم جدا من الامور الجسمانية البدنية لانه لا يمكن فى شيء من الاشياء ان يشتاق الى ما ليس من طبيعته
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فاذا كان افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لما فى مرادها وارادتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له فى طبيعته **وايضا** فان النفس نفسها
تاخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس فلها من نفسها مبادئ اخر وافعال لا تاخذها عن الحواس البتة وهى المبادى الشريفة
العالية التى تبتنى عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفى النقيض واسطة فانها لم تاخذ هذا
الحكم من شيء آخر لانه اول ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اول **وايضا** فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فانها تدرك اسباب
الاتفاقات واسباب الاختلافات التى بين المحسوسات وبين معقولاتها التى لا يستعين عليها بشيء من الجسم ولا آثار الجسم وكذلك اذا حكمت
على الحس بانه صدق او كذب فليس تاخذ هذا الحكم من الحس لانه لا يضاد نفسه فيما يحكم به فنحن نجد النفس العاقلة فينا تستدرك شيئا كثيرا من خطا
الحواس فى مبادئ افعالها وترد عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطى فيما يراه من قرب ومن بعد اما خطاؤه فى البعيد
فادراكه الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهى مثل الارض كلها مائة وستين مرة فتشهد بذلك البرهان العقلى فيقبل
فيحكم على الحس بما تشهد به فلا يقبله واما خطاؤه فى القريب فى منزله ضوء الشمس اذا وقع علينا من ثقب مربعات صغار
فى الكوى واشباهها التى يستظل بها فانه يدرك ضوء الواصل الينا منها مستديرا فتحكم عليه هذا الحكم وتغلطه فى دركه
وتعلم انه ليس كما يراه ويخطى البصر ايضا فى حركة القمر بالسحاب وفى السفينة والشاطئ ويخطى فى الاساطين وفى تخييل الشطوط

واشباهها حتى يراها مختلفة فى اوضاعها ويغلط ايضا فى الاشياء التى تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة وكالطوق
ويغلط ايضا فى الاشياء الغائصة فى الماء حتى يرى بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها منكسا وهو صحيح ويرى بعضها معوجا
وهو مستقيم ويرى بعضها منكوسا وهو منتصب فليستخرج اسباب هذه كلها من مبادى عقلية ويحكم عليها احكاما صحيحة و
كذلك الحال فى حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس اعنى ان حاسة الذوق تغلط فى الحلو فتجده
مرا وحاسة السمع تغلط فى المواضع الصقيلة الشديدة واشباهها عند الصداء وما اشبهه وحاسة الشم تغلط كثيرا فى
الاشياء المنتنة لاسيما فى المنتقل من رايحة الى رايحة فالعقل يرد هذه القضايا ويقف فيها ويستخرج اسبابها ويحكم
فيها احكاما صحيحة والحاكم فى الشئ المزيف له الى الصحيح افضل واعلى رتبة من المحكوم عليه وبالجملة فان النفس اذا علمت ان
الحس قد كذب او صدق فليس يأخذ هذا العلم من الحس ثم اذا علمت انها قد ادركت معقولاتها فليس تعلم هذا العلم
من علم اخر فانها لو علمت هذا العلم من علم اخر لاحتاجت فى ذلك العلم ايضا الى علم اخر وهذا يتم الى لانهاية واذلك
علمها بانها علمت ليس بمأخوذ من علم اخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها اعنى العقل وليست تحتاج فى ادراك ذاتها الى
شئ اخر غير ذاتها ولهذا ما قيل فى اواخر هذا العلم ان العقل والعاقل والمعقول شئ واحد لا غيرية فيه وهذا شئ يبين فى
موضعه **واما الحواس** فلا تحس ذاتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة كما سنبين ايضا فاذ قد تبين من هذه
الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست بجسم ولا جزء من جسم ولا حال الجسم وانها شئ اخر مفارق للجسم بجوهرها واحكامها وخواصها
وافعاله **فنقول** ان اشتياقها الى افعالها الخاصة بها اعنى العلوم والمعارف مع هربها من افعال الجسم الخاصة به هو
فضيلتها وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل تتزايد بحسب عناية الانسان
بنفسه وانصرافه عن الامور العايقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد وضح بما تقدم ما الاشياء العايقة لنا عن الفضائل
اعنى الاشياء البدنية والحواس وما يتصل بها فاما الفضائل انفسها فليس يحصل لنا الا بعد ان نطهر نفوسنا من الرذايل التى هى
اضدادها اعنى شهواتها الردية الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الانسان اذا علم ان هذه الاشياء ليست
فضايل بل هى رذايل تجنبها وكره ان يوصف بها واذا ظن انها فضايل لزمها وصارت له عادة وبحسب التباسه بها
يكون بعده من قبول الفضايل وقد يظهر للانسان ان هذه الاشياء التى يشتاقها البدن بالحواس ويميل اليها الجمهور
اعنى الماكل والمشارب والمناكح هى رذائل وليست فضايل انه اذا تفقدها فى الحيوانات وجد كثيرا منها اوفر

الاستكثار منها ان عرض عليها كالخنزير والكلب واصناف كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطير فانها اقوى من الانسان
على هذه الاشياء واكثر اخذا لها وليست تكون بها افضل من الانسان وايضا فان الانسان اذا اكتفى من طعامه
وشرابه وسائر اللذات البدنية اذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من الفضائل ابى ذلك وتبين له قبح صورة من
يتعاطاها لا سيما مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل يتجاوز ذلك الى مقته وذمه بل الى تقويمه وتاديبه فينبغي الآن
ان نقدم لما نطلبه من سعادات النفس وفضائلها كلاما يسهل فهم ما نريده **فنقول** كل موجود من حيوان ونبات وجماد
كذلك بسائطها اعني النار والهواء والماء والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات وافعال بها صار ذلك
الموجود هو ما هو وبها يتميز عن كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات وافعال لها يشارك ما سواه ولما كان الانسان من بين
الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب ان لا ينظر في هذا الوقت في قواه وملكاته وافعاله
التي بها يشارك سائر الموجودات اذ كان ذلك من حق صناعة اخرى وعلم آخر يسمى العلم **الطبيعي** فاما افعاله وقواه
وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها تتم انسانيته وفضائله فهي الامور الارادية التي يتعلق بها قوة الفكر والتمييز والنظر فيها
يسمى الفلسفة العملية والاشياء الارادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات والشرور وذلك ان الغرض المقصود بوجود
الانسان اذا توجه به الواحد منا اليه حتى يحصل له هو الذي يجب ان يسمى به خيرا وسعيدا واما من عاقته عوائق اخر عنها فهو
الشرير الشقي فاذن الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بارادته وسعيه من الامور التي لها اوجد الانسان ومن اجلها
خلق والشرور هي الامور التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون الى
اقسام كثيرة نحن نعدها فيما بعد ان شاء الله **وقد** قدمنا القول ان كل واحد من الموجودات له كمال خاص به وفعل
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز ان يكون موجود سواه اصلح لذلك الفعل منه وهذا
حكم مستمر في الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوانات كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر البسائط التي متى تفحصت احوالها تبين لك من جميعها صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان
من بين سائر الموجودات له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه
اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل في انسانيته وكما ان السيف والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته الذي من اجله عمل فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما اكمله الذي من الآيات في باب كماله

كماله الذي اعد له وكذلك الحال في الفرس والبازي وسائر الحيوانات لان افضل الافراس ما كان اسرع حركة
واشد تيقظا لما يريد الفارس منه في طاعته للجام وحسن القبول في الحركات وخفة العدو والنشاط وكذلك الانسان
افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا بشرائط جوهره الذي يميزه من الموجودات فاذا انا ذن بالواجب
الذي لا مرية فيه ينبغي ان نحرص على الخيرات التي هي كمالنا والتي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول الى الانتهاء
اليها ونجتنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم يظهر افعاله الخاصة به على افضل
احوالها حط عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل الحمير وكذلك السيف وسائر الالات متى قصرت
ونقصت افعالها الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها والانسان اذا نقصت افعاله وقصر
عما خلق له اعني ان تكون رويته وافعاله التي تصدر عنه وعن روية غير كاملة لحري ان يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة
البهيمية هذا اذا صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا صدرت عنه بضد ما اعد له اعني الشرور التي
تكون بالروية الناقصة او العدول بها عن جهتها لاجل الشهوة التي يشارك فيها البهيمية او الاغترار بالامور الحسية التي
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي تنتهي به الى الملك الرفيع والى السرور الحقيقي وتوصله الى قرة العين التي قال
الله عز وجل وعز من قائل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وتبلغه الى جوار رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر وتخرج عن هذه الموهبة السنية الشريفة بتلك الخساسات التي
لا ثبات لها فحقيق ما تلقت من خالقه عز وجل خليق بتعجيل العقوبة له والراحة منه داخلا بين العباد والبلاد
منه **واذ** قد تعين ان سعادة كل موجود من اشخاص الانسان انما هي في صدور افعاله الانسانية عنه
بحسب تمييزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروي فيه لذلك قيل افضل الروية ما كان في
افضل مروي فيه ثم ينزل رتبة رتبة الى ان ينتهي الى النظر في الامور الممكنة من العالم الحسي فيكون الناظر في هذه
الاشياء قد استعمل رويته والصورة الخاصة به التي من اجلها صار سعيدا لعوضها الملك الابدي والنعيم السرمدي في اشياء
دنية لا وجود لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادات بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسهما وان الخيرات
والشرور في الافعال الارادية هي اما باختيار الافضل والعمل به واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت
هذه الخيرات الانسانية كثيرة وملكاتها التي في النفس كثيرة لم يمكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان

يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ولذلك وجب ان يكون اشخاص الناس كثيرة وان يجتمعوا في وقت واحد على تحصيل هذه
السعادة المشتركة ليكمل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له فيكون الخيرات مشتركة والسعادة فوضى بينهم فيتوزعونها
حتى يقوم كل واحد بجزء منها وبه يتم الجميع بمعاونة الجميع الكمال الانسي ويحصل لهم السعادات الثلث التي شرحناها في كتاب الترتيب ولاجل ذلك
وجب ان يحب الناس بعضهم بعضا لان كل واحد يرى كماله عند الآخر فلولا ذلك ما تمت له سعادته فيكون اذن
كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضائه وقد تبين للناظر في هذه النفس وقواها انها تنقسم
الى ثلثة اقسام اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة
والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء و
الشوق الى الملاذ في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلث متباينة ويعلم ذلك من ان
بعضها اذا قوى اضر بالآخر وربما ابطل احدهما فعل الآخر وهذه ربما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر
في ذلك ليس يليق بهذا الموضع وانت تكتفي في تعلم الاخلاق بانها قوى ثلث متباينة يقوى احدها ويضعف بحسب
المزاج والعادة او التأديب **فالقوة الناطقة** هي التي تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ **والقوة الشهوية**
هي التي تسمى البهيمية وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد **والقوة الغضبية** التي تسمى السبعية وآلتها التي تستعملها من البدن
القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضائل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التي هي رذائل فمتى كانت
حركة النفس الناطقة العاقلة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة لا المظنونة معارف
هي بالحقيقة جهالات حدث عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة
للنفس العاقلة غير متأبية عليها فلا متقسطة لها ولا منهمكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة
السخاء ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تهيج في غير حينها ولا تحمى
اكثر مما ينبغي لها حدث عنها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلث باعتدالها ونسبة
بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة ولذلك اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل اربع وهي
الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولذلك لا يفتخر احد لا بآبائه الا بهذه الفضائل فقط فاما من افتخر بآبائه واسلافه
فلانهم كانوا على بعض هذه الفضائل وعليها كلها او كل واحدة من هذه الفضائل اذا تعدت صاحبها الى غيره سمي

سمّي صاحبها بها ومدح عليها واذا اقتصر بها على نفسه لم يسم بها بل صيرت هذه الاسماء اما الحلم اذا لم يتعد سمى حليما
منفاقا واما الشجاعة فان صاحبها يسمى انفا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا لان صاحب الجود
والشجاعة اذا عم غيره بفضيلته وتعداه رجى باحدهما واحتشم وهيب بالاخرى وذلك في الدنيا فقط لانهما فضيلتان
حيوانيتان فاما العلم فان صاحبه اذا افاده رجى واحتشم في الدنيا والاخرة لانه فضيلة انسانية ملكية واضداد
هذه الفضايل الاربع من الرذايل ايضا اربع وهي الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع
كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره فاما اشخاص الانواع فهي بلا نهاية وهي امراض نفسانية تحدث عنها الام كثيرة
كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق سنذكرها وعلاجها فيما بعد ان شاء الله
والذي يجب علينا الان تحديد هذه الاشياء اعني الاجناس الاربعة التي تحتوي على جمل الفضايل فنقول اما
الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي ان تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة وان شئت فقل ان
تعلم الامور الالهية والامور النفسانية ويثمر علمها بذلك ان يعرف المعقولات ايها يجب ان تفعل وايها يجب ان لا تفعل
واما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بان تصرف شهواته بحسب
الراي اعني ان يوافق التمييز الصحيح لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته واما الشجاعة
فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الانسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه
الراي في الامور الهايلة اعني ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا
واما العدالة فهي فضيلة للنفس يحدث لها من اجتماع هذه الفضايل الثلث التي عددناها
وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها
على سوم طباعها ويحدث للانسان بها سمة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولا ثم الانصاف
والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحدة من هذه الفضايل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضايل
التي تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم الوجيزة
ليتصورها المتعلم والذي ينبغي ان يتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت
كل واحد منها اما الاقسام التي تحت الحكمة فهي هذه الذكاء الذكر والتعقل سرعة الفهم

قوة صفاء الذهن سهولة التعلم وبهذه الاشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة فاما الوقوف على جواهر هذه الاقسام
فيكون من حدودها وذلك ان العلم بالحد هو به يفهم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائما على حالة واحدة وهو العلم
البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضائل التي بدوا انها فضائل بعينه يكون في حال من
الاحوال غير فضائل وكذلك العلوم بها **اما** الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس **واما** الذكر فهو ثبات
صورة ما يخلصه العقل والوهم من الامور **واما** التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه
واما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو تامل النفس لما قد لزم من
المقدم **واما** سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة للفهم بها تدرك الامور النظرية **الفضائل** التي تحت العفة
الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية القناعة الديانة الانتظام حسن الهدي المسالمة الوقار الورع **اما** الحياء فهو انحصار النفس
خوف اتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق **واما** الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوة **واما** الصبر
فهو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات **واما** السخاء فهو التوسط في الاعطاء والاخذ وهو ان ينفق
الاموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخاء خاصة انواع كثيرة نحن نحصيها في ما بعد
لكثرة الحاجة اليها **واما** الحرية فهي فضيلة النفس بها تكتسب المال من وجهه وتعطي في وجهه وتمنع اكتساب المال
من غير وجهه **واما القناعة** فهي التساهل في المآكل والمشارب والزينة **واما** الديانة فهي حسن انقياد
النفس لما يجمل وتسرعها الى الجميل **واما** الانتظام فهي حال للنفس يقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي
واما حسن الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة **واما** المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطراب
فيها **واما** الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب **واما** الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة
التي فيها كمال النفس **الفضائل** التي تحت الشجاعة كبر النفس النجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة
احتمال الكد الفرق بين هذا الصبر وبين الذي في العفة ان هذا يكون في الامور الهائلة وذاك يكون في الشهوات الهائجة
اما كبر النفس فهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان فصاحبه ابدا يؤهل نفسه للامور
العظام مع استحقاقه لها **واما** النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع **واما** عظم الهمة فهي فضيلة
للنفس يحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت **واما** الثبات والصبر فهو فضيلة

النفس يقوى بها احتمال الالام ومقاومتها وفي الاهوال الخاصة واما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمانينة
ولا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة واما السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو اما عند الخصومات
واما في الحروب التي يذب بها عن الحريم وعن الشريعة وهو قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الاحوال لشدتها واما الشهامة
فهي الحرص على الاعمال العظام توقعا للاحدوثة الجميلة واما احتمال الكد فهو قوة للنفس تستعمل الات البدن في
الامور الحسنة بالتمرين وحسن العادة الفضايل التي تحت السخاء الكرم الايثار النبل المواساة السماحة
المسامحة اما الكرم فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي وباقي الشروط
التي ذكرناها في السخاء واما الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله
لمن يستحقه واما النبل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة واما المواساة فهي
معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الاموال والاقوات واما السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب
واما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار الفضايل التي تحت العدالة
الصداقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة اما الصداقة فهي محبة صادقة يهتم
معها بجميع اسباب الصديق وايثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به واما الالفة فهي اتفاق الاراء والاعتقادات وتحدث
عن التواصل فيعتقد منها التضافر على تدبير العيش واما صلة الرحم فهي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات التي تكون
في الدنيا واما المكافاة فهي مقابلة الاحسان بمثله او زيادة عليه واما حسن الشركة فهو الاخذ والاعطاء
في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع واما حسن القضاء فهو مجازاة بلا من ولا ندم واما
التودد فهو طلب مودات الاكفاء واهل الفضل بحسن اللقاء والاعمال التي تستدعي المحبة منهم واما
العبادة فهي تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما توجبه
الشريعة وتقوى الله عز وجل يكمل هذه الاشياء ويتممها واذ قد احصينا الفضايل الاول واقسامها وذكرنا
انواعها واجزاءها فقد عرفت الرذايل التي تضاد الفضايل لانه يفهم من كل واحدة من تلك
كلها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضايل اوساطا بين اطراف وتلك
الاطراف هي الرذايل وجب ان يفهم منها وان اتسع لنا الزمان ذكرناها الان وحصينا اسمايها في هذا

الوقت متعذر وشق فلن يفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين رذائل ما انا واصفه ان الارض لما كانت على
غاية البعد من السماء قيل انها وسط وبالجملة المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشيء
على غاية البعد من شيء آخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان يفهم معنى الوسط من
الفضيلة اذ كانت بين رذائل بعدها منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص
بها ادنى انحراف قربت من رذيلة ولم تسلم من العيب بقربها من تلك الرذيلة التي تميل اليها ولهذا صعب
جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب لذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدف اعسر
من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر واصعب ذلك ان الاطراف التي تسمى
رذائل من الافعال والاحوال والزمان وساير الجهات كثيرة جدا ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي
الخير ويجب ان يطلب اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما الذي يجب علينا نحن فهو ان نذكر جمل هذه
الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على شخص شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والصائغ
وسائر ارباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صورة الباب والسرير والصائغ
يعرف صورة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا
يمكنه ان تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة
وبحسب المادة والصناعة لا تتضمن الا معرفة الاصول فقط **واذ** قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق وما ينبغي
ان يفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف التي هي رذائل **فنقول** وبالله التوفيق **واما**
الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي وسماها
القوم الجربزة واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغي ان يفهم البله ههنا نقصان الخلقة بل
ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة **واما** الذكاء فهو وسط بين الخب والبلادة فان احد طرفي كل وسط
فهو افراط والآخر تفريط اعني الزيادة عليه والنقصان منه فالخب والدهاء والحيل الردية هي كلها الى جانب
الزيادة مما لا ينبغي ان يكون الذكاء فيه **واما** البلادة والبله فهو العجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب
النقصان من الذكاء **واما** الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين

بين العناية بما لا ينبغي ان يحفظ واما التعقل فهو حسن التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع الى اكثر
مما هو عليه وبين القصور بالنظر عما هو عليه واما سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير احكام
لفهمه وبين الابطاء عن حقيقته واما صفاء الذهن فهو وسط بين كدورة في النفس يتاخر بها عن استخراج
المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب واما جودة الذهن وقوته فهو وسط
بين الافراط في التامل لما لزم من المقدم حتى يخرج عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه واما
سهولة التعلم فهو وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا تثبت معه صورة العلم وبين التصعب عليه وتعذره واما
العفة فهو وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة واعني بالشره الانهماك في اللذات والخروج عنها عما ينبغي
واعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراته وهي
ما يرخص فيه الشريعة او العقل واما الفضائل التي تحت العفة فان الحياء وسط بين رذيلتين احدهما
الوقاحة والاخرى الخرق وانت تقدر على ان تلحظ اطراف الفضائل الاخر التي هي رذائل وربما وجدت لها
اسماء بحسب اللغة وربما لم تجد لها اسماء وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي
سلكناها واما الشجاعة فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخر التهور اما الجبن فهو الخوف
مما لا ينبغي ان يخاف منه واما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه اما السخاء فهو وسط
بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي
لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع ما ينبغي ممن يستحق واما العدالة فهو وسط بين الظلم و
الانظلام اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام
فهو الاستخذاء والاستجابة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون ابدا للجائر اموال
كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب وجهة التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته نزرة
يسيرة جدا لانه تركها من حيث يجب واما العادل فهو وسط بينهما لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها
من حيث لا يجب فالعدالة فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره
اقل واما في الضار فبالعكس وهو ان لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء

ومن هذا المعنى اشتق اسمه اعنى العدل واما الجائر فهو ان يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان منه واما في الاشياء الضارة فانه يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها فقد ذكرنا الاخلاق التي هي خيرات وفضائل و اطرافها التي هي شرور ورذائل على طريق الاجمال وحددنا ما يحد منها ورسمنا ما يرسم وسنشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله وينبغي ان نلخص في هذا الموضع شكار ما يحق طالب هذه الفضائل **فنقول**

انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثيري العدد حتى يتم حياته طيبة ويجري امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني بالطبع اي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير ليتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل لهم مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلي ويتعاطى ما يرى الفضيلة من غيره فاذن القوم الذين راوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس و تفردوا عنهم اما بملازمة المغارات في الجبال واما ببناء الصوامع في المفاوز واما بالسياحة في البلدان لا يحصل لهم شيء من الفضائل الانسانية التي عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم في المدن لا يظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التي ركبت فيهم باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ذلك انهم يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك في سائر الفضائل اعني انه اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التي هي شرور ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضائل عدما بل هي افعال واعمال يظهر عند مشاهدة الناس ومساكنتهم في المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم ونتعلم الفضائل الانسانية التي نساكن بها الناس و نخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن

المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم قسمين منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان الذي يحركه ادنى شيء نحو الغضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان الذي يجبن من ايسر شيء وكالذي يفزع من صوت

صوت يطرق سمعه او يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من ادنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من
ايسر شيء يناله ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولا فاولا
حتى يصير ملكة وخلقا ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم
قد يكون للنفس الناطقة فيها حظ ثم اختلف الناس اختلافا ثانيا فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه و
قال اخرون ليس شيء من الاخلاق طبيعيا للانسان ولا غير طبيعي وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق وانما ننتقل
بالتاديب والمواعظ اما سريعا واما بطيئا وهذا الراي الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عيانا ولان الراي
الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين والى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا واما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون
اخيارا بالطبع ثم يصيرون بعد اشرارا بمجالسة اهل الشر والميل الى الشهوات الردية التي لا تقمع بالتاديب فينهمك
فيها ثم يتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح واما قوم اخرون كانوا قبل هؤلاء فانهم ظنوا ان الناس خلقوا
من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما يصيرون اخيارا بالتاديب والتعليم الا ان
فيهم من هو في غاية الشر فيمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتاديب من الصبى ثم بمجالسة الاخيار واهل الفضل فاما
جالينوس فانه رأى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم افسد
المذهبين الاولين الذين ذكرناهما اما الاول بان قال ان الناس خيارا بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورة
ان يكون تعلمهم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم فان تعلموه من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر هم اشرار بالطبع
فليس الناس اذن كلهم اخيارا بالطبع وان كانوا تعلموه من انفسهم واما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذن اشرار
بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي يشتاقون الى الشر قوة اخرى تشتاق الى الخير الا ان القوة التي تشتاق الى الشر غالبة قاهرة
من التي تشتاق الى الخير وعلى هذا يكونون ايضا اشرارا بالطبع واما الراي الثاني فانه افسده بمثل هذه الحجة وذلك انه قال
ان كان كل الناس شرارا بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من غيرهم او من انفسهم فيعيد الكلام الاول بعينه ولما افسد هذين
المذهبين صحح رأي نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك انه ظاهر جدا ان الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس
ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس تنتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذه وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقارنة اهل الشر واغوائهم الى الشر
واما ارسطاطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب المقولات ايضا ان الشرير قد ينتقل بالتاديب الى الخير
ولكن ليس على الاطلاق لانه يرى ان تكرير المواعظ والتاديب واخذ الناس بالسياسة الجيدة الفاضلة لا بد
ان يؤثر ضروب التاثير في ضروب الناس فمنهم من يقبل التاديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله
ويتحرك الى الفضيلة بابطاء ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شيء مما يمكن تغييره هو
بالطبع فاذا ولا خلق ولا واحد بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل الاول اما تصحيح
المقدمة الاولى وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه وبيناه وهو بين من العيان ومما استدللنا
من وجوب التاديب ونفعه وتاثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله عز وجل لخلقه
واما تصحيح المقدمة الثانية وهي قولنا ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نروم تغيير شيء
مما هو بالطبع ابدا فان احدا لا يروم ان يغير حركة النار التي الى فوق بان يعودها الحركة الى اسفله ولا يعود الحجر الحركة
العلوية يروم بذلك ان يغير حركته الطبيعية التي هي الى اسفل ولو رامه ما صح له ابدا تغيير شيء من هذه ولا ما يجري
مجراه اعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه
وهذا برهانا فاما مراتب الناس في قبول هذا الادب الذي سميناه خلقا والمسارعة الى قبوله والحرص عليه فانها
كثيرة وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم تظهر فيهم مثل مبدا نشوئهم ولا يسترونها بروية
وفكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح فيخفيه بضروب الحيل والافعال
المضادة لما في طبعه وانت تتامل من اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب ونفورهم عنه وما يظهر في بعضهم
من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده من الاحوال
المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم
الموافق والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطين بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثرة
واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتاديب والتقويم نشا كل انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الزعارة واما الشره واما غير ذلك

ذلك من الطبائع المذمومة والشريفة هي التي تقوم الاحداث وتعوّدهم الافعال المرضية وتعدّ نفوسهم لقبول الحكمة
وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم به وبسائر
الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب ان احوجوا اليه او التوبيخات ان اقتضت فيهم او الاطماع في
الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من الراحات او يحذرونه من العقوبات حتى اذا تعوّدوا ذلك واستمر واعليه
مدة من الزمان كثيرة طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا وينبهوا على طرق الفضائل
واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموفق والمعين وهو حسبنا وللانسان في
ترتيب هذه الآداب وسياقتها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق طبيعي يتشبه فيها بفعل الطبيعة وهو ان ينظر الى
هذه القوى التي تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فيبدأ بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي وهو بين ظاهر وذلك
ان اول ما يحدث فينا هو الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يختص بشيء بعد شيء يتميز به عن نوع نوع الى ان يصل الى
الانسانية فلذلك يجب ان نبدء بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه ثم بالشوق الذي يحصل فينا الى الغضب وحب
الكرامة فنقومه ثم بآخره الشوق الذي فينا الى المعارف والعلوم فنقومه وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبيعي انما
حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشونا اعني ان نكون اولا اجنة ثم اطفالا ثم اناسا كاملين تحدث فينا
هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق التي تعنى بتجويد افعال
الانسان بما هو انسان فتتبين مما اقول لما كان للجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات العالم
كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم لم يصدر افعاله عنه بحسب جوهره وشبهناه بالفرس
اذا لم يصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف ومكان الغنم بالذبح وكان عدمه وجوده بمنزلة وجب
ان يكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره وترفعه
عن رتبة الاخس التي يستحق بها المقت من الله عز وجل والحصول في العذاب الاليم اشرف الصناعات كلها واكرمها واما
سائر الصناعات الاخر فمراتبها من الشرف بحسب مراتب جوهر الشيء الذي يستصلحه وهذا ظاهر جدا لمن يتصفح الصناعات
لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهائم الميتة وفيها صناعة الطب التي تعنى باستصلاح الجواهر الشريفة
الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي ينصرف بعضها الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت

الموجودات متفاوتة في الشرف في الجماد والنبات والحيوان اما في الحيوان فكنحو الديدان والحشرات اذا قيس الى جوهر
الانسان واما في الجواهر الموجودات الاخر فظاهرة لمن اراد ان يحصيها فالصناعة والمهن التي يصرف الى اشرفها اشرف
من الصناعات والمهن التي تصرف الى الادون منها فيجب ان نعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى
ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد وان الشاعر الذي قال شعر ولم ار امثال
الرجال تفاوتت الى المجد حتى عد الف بواحد وان كان عنده قد بالغ فانه قصر والخبر المروى عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انى وزنت بامتى فرجحت بهم اصدق وافصح وليس هذا في الانسان وحده بل في كثير من الجواهر الا
وان كان في الانسان اكثر واشد تفاوتا فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالكهام
تفاوتا عظيما وكذلك الحال في التفاوت الذي بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه
ان يرقى بالصناعة من ادون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرمه واكرم بها فاما الانسان
من بين هذه الجواهر فهو مستعد لضروب من الاستعدادات بضروب من المقامات وليس ينبغي ان يكون الطمع في
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شيء يتبين فيما بعد ان شاء الله الا ان الذي ينبغي ان نعلمه الان ان وجود الجوهر
الانساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس ذكره فاما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو معلق
بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نلخص في موضعها ان شاء الله تعالى **وقد** تقدمنا في صدر هذا الكتاب فقلنا انه ينبغي
ان نعرف نفوسنا ما هي ولاي شيء هي ثم قلنا ان لكل موجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشيء وبينا ذلك غاية البيان في الرسالة المسعدة **واذا** كان ذلك محفوظا فنحن مضطرون الى ان
نعرف الكمال بالانسان والفعل الذي لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد
في البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله وفعله الخاص كمال بسائطه وافعالها الخاصة
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال في الخاتم والسيف فان له فعلا خاصا من حيث هو مركب وانسان لا يشاركه فيه
شيء من الموجودات الاخر فافضل الناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص والزمهم له من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت
دون وقت واذا عرف الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد فالكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك لان له
قوتين احدهما العالمة والاخرى العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم ويشتاق بالاخرى

بالاحرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظري
والى الجزء العملي فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد سعد السعادة التامة اما كماله الاول باحدى قوتيه اعنى
العالمة وهى التى يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير فى العلم بحيث يصدق نظره وتصح بصيرته وتستقيم رويته ولا يغلط فى
اعتقاد ولا يشك فى حقيقة وينتهى فى العلم بالامور الموجودة على الترتيب الى العلم الالهى الذى هو آخر مرتبة العلوم ويثق به
ويسكن اليه ويطمئن قلبه وتذهب حيرته وينجلى له المطلوب الاخير حتى يتحد به وهذا الكمال قد بينا الطريق اليه واوضحنا سبله
فى كتب اخر واما الكمال الثانى الذى يكون له بالقوة الاخرى اعنى القوة العاملة فهو الذى نقصده فى كتابنا هذا وهو الكمال
الخلقى ومبدؤه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى تتسالم هذه القوى فيه وتصدر افعاله
بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغى وينتهى الى التدبير المدنى الذى يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس
حتى ينتظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك فى الشخص الواحد فان الكمال الاول
النظرى منزلته منزلة الصورة والكمال الذى الثانى العملى منزلته منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالآخر لان
العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضائعا والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذى سميناه غرضا
وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شىء واحد وانما يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد فى نفس الانسان
لم يخرج الى الفعل فهو غرض واذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال فى كل شىء لان البيت اذا كان مصورا
للبانى وكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان غرضا فاذا خرج الى الفعل وتم كان كمالا فقد صح من جميع ما
قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اى يعلم كلياتها وحدودها
التى هى ذواتها لا اعراضها وخواصها التى تصير بها بلا نهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها
بنحو ما لان الجزئيات لا تخرج عن كلياتها فاذا اكملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظم ورتب القوى والملكات التى
فيك ترتيبا علميا كما سبق علمك به فاذا انتهيت الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وحدك واستحققت ان تسمى
عالما صغيرا لان صور الموجودات كلها قد حصلت فى ذاتك فصرت انت هى بنحو ما ونظمتها بافعالك على نحو ترتيبها
فصرت بها خليفة لمولاك خالق الكل فلم تخطئ فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمى فتصير حينئذ عالما تاما والتام
من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقى بقاء سرمديا فلا يفوتك حينئذ شىء من النعيم المقيم

لانك بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى دائما ابدا وقد قربت منه القرب الذى لا يجوز ان يحول
بينك وبينه حجاب وهذه هى الرتبة العليا والسعادة القصوى فلولا ان الشخص الواحد من اشخاص الناس يمكنه تحصيل
هذه المنزلة فى ذاته وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالذى اليها لكان سبيله سبيل اشخاص الحيوانات الاخر وكسبيل اشخاص النبات
فى مصيرها الى الفناء بالاستحالات التى تلحقها والنقصانات التى لا سبيل الى تمامها ولا استحال فيه البقاء الابدى والنعيم السرمدى
بمجاورة رب العالمين ودخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا يشتهى الى علمها من متوسطين فى العلم يقع له شكوك
فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسمانى بطل وتلاشى كالحال فى الحيوانات والنبات فيستحق اسم الالحاد
ويخرج عن سمة الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هما فى اللذات الحسية وانها هى الخير
المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس الشريفة التى
سميناها ناطقة انما وهبت له ليرتب بها الافعال ويميزها ثم يوجهها نحو هذه اللذات ليكون الغاية الاخيرة هى حصولها على
النهاية والغاية فظنوا ان قوى النفس الناطقة اعنى الذكر والحفظ والروية كلها ازداد لتلك الغاية قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر
اللذة التى كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحب معاودتها فقد صارت منفعة الذكر والحفظ
انما هى اللذة وتحصيلها لاجل هذه الظنون التى وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد الممتهن وكالاجير المستعمل فى خدمة
النفس الاخرى الشهوية ليخدمها فى المآكل والمشارب والمناكح وترتبها لها وتعدها اعدادا كاملا موافقا وهذا هو راى الجمهور من
العوام والرعاع وجهال الناس السقاط ولهذه الخيرات التى جعلوها غاياتهم تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل
وهى التى يسئلونها الرب تبارك وتعالى فى دعواتهم وصلواتهم واذا اخلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك
منهم على جهة المتاجرة والمرابحة فى هذه بعينها كانهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا
الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الاعلى الاشرف وانزههم الله
عنه من هذه اللذات واعلموا بالجملة انهم اقرب الى الله عز وجل واعلى رتبة من الناس وانهم غير محتاجين الى شى من حاجات
البشر يعلمون ان خالقهم وخالق كل شئ تعالى الذى تولى ابداع الكل هو منزه عن هذه الاشياء متعال عنها غير موصوف
باللذة والتمتع مع التمكن باتخاذها لنفسه وان الناس يشاركون فى هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات وخسيس
من الحيوان وانما يشاركون الملائكة بالعقل والتمييز ثم يجمعون بين هذه الاعتقاد والاعتقاد الاول وهذا هو العجب العجيب وذلك

ذلك انهم يتصورون الاذى الذى يلحقهم بالجوع والعرى وضروب النقصانات وحاجاتهم الى مداو
اتها بما يدفعها عنهم فاذا زالت اثارها وعادوا الى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا الراحة لذة ولا يشعرون
انهم اذا اشتاقوا الى لذة الاكل فقد اشتاقوا اولا الى الم الجوع وذلك ان من لم يالم بالجوع لم يلتذ بالاكل وهكذا
الحال فى سائر اللذات الاخر الا ان هذه الحال فى بعضها اظهر منها فى بعض وسنتكلم على ان صورة الجميع واحدة وان
اللذات كلها انما يحصل للملتذ بعد الالم يلحقه وان كل لذة حسية انما هى خلاص من الم واذى فى غير هذا الموضع و
سيظهر عند ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى سعادته فقد رضى باخس العبودية لاخس
الموالى لانه تصير نفسه الكريمة التى يناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنية التى يناسب بها الخنازير والخنافس وخسائس الحيوانات
التى تشاركه فى هذه الحال وقد تعجب جالينوس فى كتابه الذى سماه باخلاق النفس من هذا الراى واكثر استهزاءه
بالقوم الذين هذه مرتبتهم من العقل الا انه قال ان هؤلاء الخسيسين الذين سيرتهم سيرة رديئة اذا وجدوا انسانا
هذا رايه ومذهبه نصروه وتوهموه ودعوا اليه لتزهدوا بذلك انهم غير مقرين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم فى
صفوة اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذرا لهم وتمويها على قوم اخرين فى مثل طريقتهم
هؤلاء هم الذين يفسدون الاحداث بايهامهم ان الفضيلة هى ما تدعوهم اليه طبيعة البدن من الملاذ وان تلك
الفضائل الاخر المشكلة اما ان تكون باطلة ليست بشىء البتة واما ان تكون غير ممكنة لاحد من الناس لما يكونون
بالطبع الجسدانى الى الشهوات فيكثر اتباعهم ويقل الفضلاء فيهم واذا نبه الواحد بعد الواحد منهم على ان هذه اللذات
انما هى لضرورة الجسد لان بدنه مركب من الطبائع المتضادة اعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وانه
انما يعالج بالماكل والمشارب مرضا يحدث ابدا عند الاختلال فيحفظ تركيبه على حالة واحدة ما امكن ذلك
فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السعيد التام
هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله وقربهم لا يلحقهم هذه
الالام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف عارضوا بان اخس البشر
اشرف من الملائكة وان الله اجل من ان يذكر مع الخلق ويستغربون هذا القول ويعدونه شيئا باطلا حتى يتشكك فى
ما نبه عليه وارشده عقله اليه والعجب الذى لا ينقضى هو انهم مع رايهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس

قد ترك طريقتهم التي يميلون اليها واستهان بالتمتع واللذة وصام وطوى واقتصر على نبات الارض عظموه وكثر تعجبهم منه
واهلوه للمراتب العظيمة وزعموا انه صفي الله ووليه وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر ويخضعون له ويذلون
غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من افن الراى وسفاهة على
ما نرى فان فيهم من تلك القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون
الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلثا كما قلنا مرارا فادونها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها
النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعنى الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم
فاشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر وانصرافه اليها اتم واوفر ومن غلب عليه احدى النفسين الاخريين انحط عن
مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين تضع نفسك واين تحب ان تنزل من المنازل التي
رتبها الله للموجودات فان هذا امر موكول اليك مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون
منهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت ففي منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من هذه المراتب
مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبولها التاديب لان الفرس اشرف من الحمار لقبوله الادب
وكذلك البازي في فضله على الغراب فاذا تاملت الحيوان كله وجدت القابل للتاديب الذي هو اثر النطق اعنى النفس الناطقة
افضل من سائره وهو يتدرج في ذلك الى ان يبلغ الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعنى الذي هو اكمل البهائم وهو في ادنى مرتبة
الانسانية وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل قريبا من البهائم وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان آخر
ناحية الجنوب والشمال لا يتفضلون عن القرود الا بشيء يسير من التمييز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتميزون
ويتزايدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم ويعتدل فيهم المزاج القابل لصورة العقل فيصير فيهم العاقل المتامل
والمميز العالم ويتفاضلون بينهم في هذا المعنى الى التمييز والى غاية ما يمكن الانسان ان يبلغ اليه من قبول قوة العقل و
النطق فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليه
نور العقل ويسبح اليه نور الحق ولا حالة للانسان اعلى من هذه ما دام انسانا ثم ارجع القهقرى الى النظر في المراتب
الناقصة التي هي ادون مراتب الانسانية فانك تجد القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة وسط القوم الذين
ذكرنا انهم في افق البهائم يقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون الى شهواتها المأخوذة بالحواس كالماكول والمشروب والملبوس

وسائر النزوات البهيمية الشهوية بها وكثير من الذين تجد بهم الشهوات القوية اقوة نفوسهم البهيمية حين يرتكبونها
ولا يرتدعون عنها وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا في الظلمات اذا هموا بلذة
تخصهم وهذا الحياء منها هو الدليل على قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الشيء الذي يتظاهر به ويستحب اخراجه واذاعته
وهذا القبيح ليس بشيء من النقصانات اللازمة للبشر وهم يشتاقون الى ازالتها فانها هي نقصها وانقصها احوجها الى
الستر والدفن ولو سألت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكتمون
الوصول الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تعدون موافقتها حين تسترونها قرة من سترها وكتمانها فضيلة
ومروة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل وفي مجامع الناس خساسة وقحة يظهر من انقطاعهم
وتبلدهم في الجواب ما تعلم به سوء مذهبهم وخبث سيرتهم واقلهم حظا من الانسانية اذا راى انسانا قد فارق الحشمة
ووقره ولم يحب ان يكون مثله الا الشاذ منهم الذي يبلغ من خساسة الطبع ونزارة الانسانية ونقاصة الهمة
الى ان يقيم على نظيرها هو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه فاذا يجب على العاقل الى ان يعرف ما ابتلي به
الانسان من هذه النقصانات التي في جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتها وتكميلها اما بالغذاء الذي يحفظ اعتدال
مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله ولا يطلب اللذة لنفسها بل قوام الحياة التي تتبعها اللذة فان تجاوز
ذلك قليلا فبقدر ما يحفظ رتبته في مروته ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ومرتبته بين الناس واما باللباس الذي
يدفع اذى الحر والبرد ويستر العورة فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يستحقر ولا ينسب الى الشح على نفسه والى ان يستقطع بين
اقرانه واهل طبقته واما بالجماع الذي يحفظ نوعه ويبقي به صورته في طلب النسل وان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج
به عن السنة ولا يستهتك وما يملكه الى ما يملك غيره ثم يلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار انسانا ويلتمس
الى النقصانات التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده فان هذه الخيرات هي التي لا تستر
اذا وصل اليها ولا يمتنع منها بالحياء ولا يتوارى عنها بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها بين الناس وفي المحافل
وهي التي يكون بها بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض وهذه النفس يعد اشرف الاشياء التي
لما التمس نقصاناتها كما يغذو وتلك باغذيتها الملائمة لها فان غذاء هذه العلوم والرياضة في المعقولات والاخذ
بالصدق في الآراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الباطل والكذب كيف كان وممن كان

فمن اتفق له في الصبا ان يربى على الادب الشريعة ويوخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق
حتى يتاكد تلك الاداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
ولا يسكن الا اليها ثم يتدرج كما رسمناه في كتاب الموسوم بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى مرتبة الانسان
فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله عز وجل على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفق له ذلك في مبدء نشوه ثم ابتلى
بان يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كما
يوجد في شعر امرء القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على روايتها وقول مثلها ويجزلون العطية
والى اقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية ومال طبعه الى استكثار من المطاعم والمشارب والمراكب والزينة وارتباط
الخيل الفرهة والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهمك فيها واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها
فليعلم ان جميع ذلك شقاء لا نعيم وخسران لا ربح وليجتهد على التدريج الى فطام نفسه منها وما اصعب ذلك الا انه على حال خير من
التمادي في الباطل وليعلم الناظر في هذا الكتاب خاصة فقد درجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة جهادا
جهادا عظيما وصنفت لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للادب الحقيقي ما وصفت لتتخلص به وتجاوزت في النصيحة لك
الى ان اشرت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتتدارك انت ذلك وادلك على طريق النجاة قبل ان تتيه في مفاوز الضلالة وقد قربت
لك السفينة قبل ان تغرق في بحر المهالك فالله الله في نفوسكم معاشر الاخوان والاولاد واستسلموا للحق وتادبوا
بالادب الحقيقي لا المزور وخذوا الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم وتصوروا حالات انفسكم وتذكروا قواها واعلموا ان اصح
مثل ضرب لكم من انفسكم الثلاث التي مر ذكرها في المقالة الاولى مثل ثلاث حيوان مختلفة جمعت في رباط واحد ملك وسبع و
خنزير فايها غلب بقوته قهر الباقين كان الحكم له وليعلم من تصور هذا المثل ان النفس لما كان جوهرا غير جسم ولا فيها شيء من قوى الجسم
ولواحقه كما بينا ذلك في صدر الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف اتحاد الاجسام واتصال بعضها ببعض ولذلك ظن ان هذه
الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ومع انها تكون شيئا واحدا فهي باقية التغاير باقية القوى يتميز الواحد
بعد الواحد حتى كانها لم يتصل بالاخرى ولم يتحد بها وتستعدي ايضا الواحدة للاخرى حتى كانها غير موجودة ولا لها
قوة ينفرد بها وذلك ان اتحادها ليس بان يتصل نهاياتها ولا بان يتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام
بل تصير في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال اشياء مختلفة بحسب ما يهيج قوة بعضها او تسكن ولذلك قال

قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى وقال اخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالموضوع وهذا شيء يخرج الكلام فيه عن غرض
الكتاب وسنعرفك في موضع ليس يضرك في هذا الوقت ان تعتقد اي الاراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه كريمة ادبية
بالطبع وهذا بهيمة عادمة للادب لانها تقبل التاديب تنقاد التي هي دنية **اما الكريمة الادبية** بالطبع فالنفس
الناطقة **واما العادمة** للادب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية **واما** التي عدمت الادب ولكنها
تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية التي لا
الادب وقد شبهت القدماء الانسان وحاله في هذه الانفس الثلاث بانسان راكب بهيمة قوية يقود كلبا او فهدا
للقنص فان كان الانسان من بينهم هو الذي يروض دابته وكلبه يصرفهما ويطيعانه في سيره وتصيده وسائر متصرفاته
فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلاثة وحسن احوالهم لان الانسان يكون مرفها في مطالبه يجري
فرسه حيث يجب وكما يجب ويطلق كلبه ايضا كذلك واذا نزل استراح هو واستراحا معه بحسن القيام عليهما واراح عللهما في
المطعم والمشرب وكفاية الاعداء في غير ذلك من مصالحهما واذا كانت البهيمة هي الغالبة ساءت حال الثلاثة كلهم
وكان الانسان مضعوفا عندها فلم يطع فارسها وعابت فان رات عشبا من بعيد عدت نحوه وتعسفت في عدوها
وعدلت عن الطريق النهج فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فتقحمتها وتورطت فيها وتحمل فارسها ما لحق مثله فهذه
الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة ما لا خفاء به وكذلك ان قوي الكلب لم يطع صاحبا فان
راى من بعيد صيدا اخذ نحوه فجذب الفرس وفارسه ولحق الجميع من الضرر والضر اضعاف ما ذكرناه وفي نحو هذا المثل
الذي ضربه القدماء تنبيه على حال هذه النفوس بعضها عند بعض ودلالة على ما وهبه الله عز وجل للانسان وملكه
منه وعرضه له وما يضيعه بعضنا خالقه تعالى فيها عند اهمال السياسة واتباعه امرها بين القوتين وتعبد
لهما وهما اللتان ينبغي ان يتبعاه بامره عليهما **فمن** اسوء حالا ممن اهمل نعمة الله وضيع نعمته عليه وترك هذه القوى
فيه هائجة مضطربة تتغالب وصار الرئيس مرؤوسا والمالك فيها مستعبدا نعوذ بالله من الانتكاس في الخلق الذي
سببه طاعة الشياطين والاتباع للابالسة فلينسب الانسان بها الى غير هذه القوى التي وصفناها ووصفنا
احوالها فنسال الله عصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى تنتهي فيها الى طاعته التي هي مصالحنا ونجاتنا
وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمد **فقد** علمنا الان ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها و

مرتبتها من الله عز وجل احسنت خلافته في ترتيب هذه القوى وسياستها وغضب بالقوة التي اعطاها الله الى محلها
من كرامة الله ومنزلتها من العلو والشرف ولم تخضع للسبع ولا للبهيمة بل يقوم النفس الغضبية التي سميناها سبعية
ويعودها الى الادب ليحملها على حسن طاعتها ثم يستنهضها في وقت هيجان النفس البهيمية وحركتها الى الشهوات حتى تقمع
بها سلطان تلك ويستخدمها في تاديبها او يستعين بقوة هذه على تأبي تلك وذلك ان هذه النفس الغضبية قابلة
للادب قوية على قمع الاخرى كما قلنا وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له فاما النفس الناطقة اعني
العاقلة فهي كما قال افلاطون بهذه الالفاظ اما هذه فبمنزلة الذهب في اللين والانعطاف واما تلك فبمنزلة الحديد
في الصلابة والامتناع فان انت اثرت الفعل الجميل في وقت وجاذبتك القوة الاخرى الى اللذة والى خلاف ما اثرت فاستعن
بقوة الغضب التي تثور وتهيج بالانفة والحمية وقهرها النفس البهيمية فان غلبتك مع ذلك ثم ندمت وانفت وانت في
طريق الصلاح فلم عزيمتك واحذر ان تعاود ذلك بالطمع فيك والغلبة لك فان لم يفعل ذلك ولم تكن العقبى في الغلبة
لك كنت كما قال الحكيم الاول اني ارى اكثر الناس يدعون محبة الافعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤنة فيها على علمهم بفضلها
فيغلبهم المرقة ومحبة البطالة فلا يكون بينهم وبين من لا يحب الجميل فرق اذا لم يحتملوا مؤنة الصبر وصبروا الى تمام ما اثروه وعرفوا
فضله واذكر مثل البير الذي تردى فيه البصير والاعمى فيكونان في الهلكة سواء الا ان الاعمى اعذر ومن وصل من هذه الاداب
الى مرتبة يعتد بها واكتسب بها الفضائل التي عددناها فقد وجب عليه تاديب غيره وافاضة ما اعطاه الله على ابناء جنسه

فصل في تاديب الاحداث والصبيان نقلته اكثره من كتاب بروسن فقد قلنا فيما تقدم ان اول قوة تظهر في الانسان
اول ما يكون هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمس من الثدي
الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله
الذي يدل به على اللذة والاذى ثم تتزيد فيه هذه القوة ويتشوق بها الى الازدياد والتصرف بها في انواع الشهوات
ثم يحدث فيه على التدريج شوقها بالالات التي تخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التي تحصل له هذه ثم يحدث
له من الحواس قوة على تخيل الاشياء ويرتسم في قوته الخيالية مثالات فيتشوق اليها ثم تظهر فيه قوة الغضب التي يتشوق بها
الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان اطاق بنفسه ان ينتقم ممن يؤذيه انتقم منه والا استعان بغيره او استصرخ
بوالديه بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة اولا اولا حتى يصير الى كماله في هذا

هذا التميز فليسمى حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية فى وجود الاخرى الى ان ينتهى الى الغاية الاخيرة وهى التى
لا يراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذى يتشوقه الانسان من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه
القوى الحياء وهو الخوف من ظهور شئ قبيح منه ولذلك قلنا اول ما ينبغى ان يتفرس فى الصبى ويستدل
به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويجتنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه
فاذا نظرت الى الصبى فوجدته مستحييا مطرقا بطرفه الى الارض غير وقاح الوجه ولا محدق اليك فهو اول دليل
على نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميل والقبيح فان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه
وهذا ليس بشئ اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتميز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا
ان يهمل ولا يترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة من كان بهذه الحال من الاستعداد
لقبول الفضيلة فيحقر عنده قدر الطعام الذى يستطيبه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجة
بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب فى الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره ولا يبادر الى الطعام
ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع فى الاكل ولا يوالى بين اللقم
بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يواكله ولا يتبع بنظره
مواقع يده من الطعام ويعود ان يوثر غيره مما يليه ان كان افضل مما عنده ثم يضبط شهوته ويقتصر
على ادنى الطعام وادونه وليأكل الخبز والقفار الذى لا ادم معه فى بعض الاوقات وهذه الاداب وان كانت
جميلة بالفقراء فهى اجمل بالاغنياء وينبغى ان يستوفى غذاءه بالعشى فانه ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى
النوم وتبلد فهمه مع ذلك وان منع اللحم فى اكثر اوقاته كان نافعا بالحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعثه على النشاط
الخفة فاما الحلواء والفاكهة فينبغى ان يمنع منها البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن ثم يستحيل فى بدنه
فيكثر انحلاله ويعوده مع ذلك الشره ومحبة الاستكثار من الماكل ويعود ان لا يشرب فى خلال طعامه الماء فاما
النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره فى بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح
وعلى القحة وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغى ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس الادباء فضلاء فاما
غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التى تجرى فيه وينبغى ان لا ياكل حتى يفرغ من وظائف الادب التى

يفعلها ويتعب تعبا كافيا وينبغي ان يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فانه ليس يخفي شيئا الا وهو يظن ويعلم انه قبيح ويمنع
من النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خواطره هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعوده البتة ويمنع
ايضا الفراش الوطي وجميع انواع الترفه والتنعم حتى تصلب ابدانه ويتعود الخشونة ولا يتعود الخيش والاسراب ولا الادثار
النيران في الشتاء للاسباب التي ذكرناها ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود ان
لا يكشف اطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ولا يربي شعره ولا يتزين بملابس النساء و
يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده ولا بشيء من مآكله وملابسه وما يجري مجراها
بل يتواضع لكل واحد ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له او سلطان من اهله ان اتفق له الى غصب من
هو دونه او استهانة من لا يمكنه ان يرده عن هواه او تطاول عليه كمن اتفق له ان كان خاله وزيرا وعمه سلطانا فانطلق
به الى هضيمة اقرانه وتلوحه واستباحة اموال جيرانه ومعارفه وينبغي ان يعوده ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب
بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده فان هذا دليل الكسل وانه
قد بلغ النفخ الى ان لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده ويعود ان لا يكذب وان لا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا فان هذا
قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعود ايضا الصمت وقلة الكلام
وان لا يتكلم الا جوابا واذا حضر من هو اكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له ويمنع من خبيث الكلام ومن هجينه ومن
السب واللعن ولغو الكلام ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ولا يرخص له ان يسمع اضدادها من غيره ويعود
خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان اكبر منه واحوج الصبيان الى هذا الادب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي اذا
ضربه المعلم ان لا يصرخ ولا يستشفع باحد فان هذا فعل المماليك ومن هو خوار ضعيف ولا يعير احدا
الا بالقبيح والسيء من الادب ويعود ان يبر الصبيان وان يكافيهم على الجميل باكثر منه لئلا يتعود الربح على الصبيان
وعلى الصديق ويبغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما اكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي
فان آفة حب الفضة والذهب اكثر من آفة السموم وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا
ليستريح اليه من تعب الادب ولا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه ومعلمه ومؤدبيه وان
ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم فان هذه الآداب نافعة لهم وهي للكبار من الناس ايضا نافعة ولكنها

لكنها للاحداث انفع لانها تعودهم محبة الفضائل وينشاؤن عليها ولا يثقل عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم
بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وبحده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة
ويكفهم عن الانهماك فى شئ منها والفكر الكثير فيها ويسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية ويرقيهم الى معالى الامور التى
وصفناها فى اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال فى الدنيا وطيب العيش
وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين فى مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ امامه الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التى يقصدها
الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش واشباه ذلك انما هو ترفية البدن وحفظ
صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان لا يقع فى الامراض ولا يفجاه المنية وان يتهنا بنعمة الله عز وجل عليه ويستعد
لدار البقاء والحيوة السرمدية وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هى خلاص من الالام وراحات من تعب فاذا عرف
ذلك وحققه ثم تعوده بالسيرة الدائمة عود الرياضات التى تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد
البلادة وتبعث النشاط وتذكى النفس فمن كان مولا مترفا كانت هذه الاشياء التى رسمتها اصعب عليه لكثرة من
يحضه به ويغريه وللموافقة طبيعة الانسان فى اول ما ينشا هذه اللذات ولاجتماع جمهور الناس على نيل ما امكنهم منها
وطلب ما تعذر عليهم بغاية جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون الى الفضائل قادرون عليها
متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة فى هاتين الحالتين وقد كان ملوك
الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التى ذكرتها وكانوا ينفذونهم
الى النواحى البعيدة منهم ومن سماع ما صدرت منه فكان يتولى تربيتهم اهل الجفاء وخشونة العيش ومن
لا يعرف التنعم والترفه واخبارهم فى ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم فى زماننا هذا ينقلون اولادهم عند
ما ينشاؤن الى بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن التنعم وعادات اهل البلدان الردية واذ قد
عرفت هذه الطرق المحمودة فى تاديب الاحداث فقد عرفت اضدادها اعنى ان من نشا على خلاف هذا المذهب
والتاديب لم يرج فلاحه ولا ينبغى ان يشتغل باصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشى الذى لا يطمع فى
رياضته فان نفسه العاقلة قد صارت خادمة لنفسه البهيمية والنفس الغضبية فهى منهمكة فى مطالبها من اللذات

الى الرياضة من انشا على هذه الطريقة واعتادها وامعن قليلا في السن الا ان يكون في جميع احواله عالما بقبح
سيرته ذاما لها عائبا على نفسه عازما على الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له النزوع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة ومصاحبة الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف
واذ قد ذكرنا الخلق ونوعه وما ينبغي ان يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون لجميع القوى التي يحدث
الخلق بها اولا اولا الى ان ينتهي اقصى الكمال فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتستدل على الترتيب الطبيعي في تقوم
واحد واحد منها **فنقول** ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها ثم يتفاضل بقبول الآثار
الشريفة والصور التي تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها افضل من الطينة
الاولى التي لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هي الاغتذاء والنمو والامتداد في الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه
وتفضيل ثفله الذي يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هي الاشياء التي يتفضل بها النبات من
الجماد وهي حال زائدة على الجسمية التي حددناها وكانت حاصلة في الجماد وهذه الحالة الزائدة في النبات التي يشرف
بها على الجماد يتفاضل في ذلك ان بعضها يفارق الجماد مفارقة يسيرة ثم يتدرج فيها فيحصل من هذه الزيادة شيء بعد شيء
فبعضها ينبت من غير بزر ولا يحفظ نوعه بالثمر والبزر ويكفيه في حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع
الشمس فذلك في افق الجمادات وقريب الحال منها ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بعضه على بعض
بانتظام وترتيب حتى يظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبزر الذي يخلف به مثله فيصير هذه الحال زائدة فيه
وميزة له عن حال ما قبله ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول
ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه ويصير في افق الحيوان وهي كذلك في الشجر كالزيتون والرمان
والكرم واصناف الفواكه الا انها بعد مختلطة القوى اعني ان قوى ذكورها واناثها مختلطان غير
متميزتين فهي تحمل وتولد المثل ولم يبلغ غاية افقها التي يتصل بافق الحيوان ثم يزداد ويمعن في هذا الافق الى
ان يصير في افق الحيوان فلا يحتمل زيادة وذلك انها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق
النبات فيتميز قواها ويحصل فيها ذكورة واناث ويقبل من فضائل الحيوانات امورا يتميز بها عن سائر النبات

والشجر كالنخل الذي طالع افق الحيوان بالخواص العشرة المذكورة في مواضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان الا مرتبة واحدة
وهي الانقلاع من الارض والسعي الى الغذاء **وقد روي** في الخبر ما هو كالاشارة او كالرمز الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله
عليه واله وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة ادم واذا انفصل الشي من النبات وانقلع من ارضه وسعى الى
غذائه ولم يتقيد في موضعه الى ان يصير اليه غذاؤه وتكون له الات اخر متى اول بها حاجاته التي يكمله فقد صار حيوانا
وهذه الالات يتزايد في الحيوان من اول افقه ويتفاضل فيه ويشرف بعضها على بعض كما كان ذلك في
النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى يظهر فيه قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بوصوله الى منافعه
ويتالم بوصول مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عز وجل اياه فيهتدي الى مصالحه ويطلبها والى اضدادها فيهرب
منها وما كان من الحيوان في اول افق النبات فانه لا يتزاوج ولا يخلف المثل بل يتولد فقط كالديدان والذباب
واصناف الحشرات الخبيثة ثم تتزايد فيها قبول الفضيلة كما كان ذلك في النبات سواء ثم يحدث فيه
قوة الغضب التي ينهض بها الى دفع ما يؤذيها فيعطى من السلاح بحسب قوتها وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية تامة
كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة
بل يعطى الة الهرب كشدة العدو والقدرة على الحيل التي تنجيه من مخاوفه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوانات
التي اعطي القرون التي تجري له مجرى الرماح والذي اعطي الانياب والمخالب التي تجري له مجرى السكاكين
والخناجر والذي اعطي الرمي الذي يجري له مجرى النبل والنشاب والذي اعطي الحوافر التي تجري له مجرى
الدبوس والطبرزين فاما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولانه لو اعطيه
لصار كلا عليه فقد اعطي الة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة كالارانب والثعالب واشباههما
واذا تصفحت احوال الموجودات والسباع والوحش والطير رايت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله احسن الخالقين
فاما الانسان فقد عوض من هذه الالات كلها بان هدي الى استعمالها كلها وسخرت هذه كلها له وسنتكلم في
ذلك في موضعه فاما اسباب هذه الاشياء والشكوك التي تعترض في قصد بعضها بعضا بالتلف وانواع الالام والاذى فليس يليق
بهذا الموضع وسنذكرها ان شاء الله في الاجوبة اذا بلغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر مراتب الحيوان **فنقول** ان اشرف ما اهتدى
منها الى الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربيته والاشفاق عليه بالكن والعش والكناس كما نشاهده

فيما يلائمها ويصلح لتغذيتها اما بالبيض واما بنقل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يهتدي الى شئ منها ثم لا تزال هذه الاحوال
تتزايد في الحيوان حتى تقرب من افق الانسان فحينئذ يقبل التاديب ويصير بقبوله الادب ذا فضيلة يتميز بها من سائر الحيوانات
الاخر ثم يتزايد بهذه الفضيلة في الحيوانات حتى يشرف بها ضروب الشرف كالفرس المؤدب والبازي المعلم ثم يصير من هذه
المرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعلم كالقردة وما اشبهها ويبلغ من ذكائها
الى ان يكتفي في التاديب بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يحوج الانسان الى تعب بها ورياضة
لها وهذه غاية افق الحيوان التي ان يجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان الذي
يقبل العقل والتمييز والنطق والالات التي يستعملها والصور التي يلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة يحرك الى المعارف واشتاق
الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه المرتبة كما كان
ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها واول هذه المراتب من الافق الانساني المتصلة باخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين
يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد ياجوج وماجوج واخر الزنج واشباههم من الامم
التي لا تتميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء و
سرعة الفهم وقبول الفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالموجودات المحسوسة ثم يستعد بهذا
القبول لاكتساب الفضائل واقتناء الاداب بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى اخر
افقه فاذا صار الى افقه اتصل باول افق الملائكة وهذه اعلى مرتبة الانسان وعندها يتحد الموجودات و
يتصل اولها باخرها واخرها باولها وهو الذي يسمى **دائرة الوجود** لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط
واحد يبتدي بالحركة من نقطة وينتهي اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي تدل
دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس ذكره ولولا ان
شرح هذا الموضع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق لشرحته وانت تقف عليه ان بلغت اليه بمشية الله وتوفيقه
وتصورت قدر ما اومانا اليه وفهمته اطلعت على الحالة التي خلقت لها وندبت اليها وعرفت الافق الذي يتصل بافقك
من بعد مرتبة فمرتبة وركوبك طبقا عن طبق وحدث لك الايمان الصحيح وشاهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء و
بلغك الى ان ينبجس الى العلوم الشريفة المكنونة التي مبدؤها علم المنطق فانه الالة في تقويم الفهم والعقل الغريزي

ثم الوصول به الى معرفة الخلايق وطبايعها ثم التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحينئذ
يستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه ويتلقى الفيض الالهي فيتمكن عن قلق الطبيعة وحركات الشوق
الحيوانية ويحفظ المراتب التي ترقيت منها اولا اولا من مراتب الموجودات وعلمت ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها
وعلمت ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا حصل انسانا كاملا وبلغ غايته فقد اشرق
نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيما تاما تاتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من الحالات الحكمية والتاييدات العلوية
في التصورات العقلية واما نبيا مؤيدا ياتيه الوحي على ضروب المنازل التي يكون له عند الله عز وجل فيصير حينئذ واسطة
بين الملاء الاعلى والملاء الاسفل وذلك يتصور حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الانسية ومطالعة
الافاق التي ذكرناها وحينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويتصور معنى قول رسول
الله صلى الله عليه وآله هناك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا بلغ بنا الكلام الى ذكر
هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها ونسقنا المراتب التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق الى المعارف
والعلوم فينبغي ان نزيد في بيانه وشرحه **فنقول** ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح
حتى تتادى الى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمت والسنن وذلك
لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الان وانت في تهذيب خلقك فكما ان الطبيعة المدبرة
للاجسام ربما شوقت الى ما ليس بتمام للجسم الطبيعي لعلل بحدث به وافات تطرا عليه بمنزلة من يشتاق الى اكل الطين
وما يجري مجراه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده كذلك ايضا النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتميز
الذي لا يكملها ولا يسوقه نحو سعادته بل يحركها الى الاشياء التي تعوق وتقصر عن كماله فحينئذ يحتاج الى علاج
نفساني وروحاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني ولذلك يكثر حاجات الناس الى المقومين
والمثقفين والى المؤدبين والمسددين فان وجدت تلك الطبايع الفايقة التي ينساق بذاتها من غير توقيف الى السعادة
عسيرة الوجود لا يوجد الا في الازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق الذي يؤدينا الى غايتنا يجب ان يلحظ
فيها المبدا الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الاصل الطبيعي على طريق التحليل ثم
يبتدا من اسفل على طريق التركيب فيسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية التي لحظت اولا وهذا هو المسمى التدبير

اخرجنا فى مبدأ هذا الكتاب فى فصول الحرمة ان يذكر اشياء عالية لا يليق بهذه الصناعة ليتشوق اليها من يحققها لى
ليس يمكن الانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة فاذا لحظها من فيه قبول لها وعناية بها عرفها بعض المعرفة فيتشوقها و
سعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها **وينبغى** ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها اقرب والوصول اليها احرى
ولذلك ما تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر الا من اتفقت له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهى الى غايات
الامور والى غايات غاياتها اعنى السعادة القصوى التى لا سعادة بعدها ولاجل ذلك يجب على مدبر المدن ان
يشوق كل انسان نحو سعادته التى تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم قسمين احدهما فى تسديد الناس و
تقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر فى تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا سددهم نحو السعادة النظرية بدأ بهم من الغاية الا
على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التى ذكرناها واذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى
بهم الى تلك الغايات **ولما كان** غرضنا فى هذا الكتاب السعادة الخلقية وان يصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا
فى صدر هذا الكتاب وعملناه بحسب الحكمة لا للعلوم وكان النظر يتقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية
لتلحظ الغاية الاخيرة ثم تطلب بالافعال الارادية التى ذكرناها فى المقالة الاولى وارسطاطاليس ايضا بدأ كتابه بهذا الموضع
افتتحه بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه فى مواضع اخر ليجتمع لنا ما فرقه ونضيف
الى ذلك ما اخذناه عن مفسرى كتبه والمستقلين بحكمته بحسب استطاعتنا والله الموفق والمؤيد فان الخيرات بيده وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على نبيه محمد وآله **تمت المقالة الثانية** نبدأ بمعونة الله تعالى فى هذه المقالة
بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد ان نحكى الفاظ ارسطو فى تداركه وتوفيه حقه **فنقول** ان الخير على ما حده
واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة وقد يسمى الشئ النافع فى هذه الغاية خيرا
فاما السعادة فهو الخير بالاضافة الى صاحبها وهى كمال له فالسعادة اذن خير ما وقد يكون سعادة الانسان
غير سعادة الفرس وسعادة كل شئ فى تمامه وكماله الذى يخصه فاما الخير الذى يقصده الكل بالشوق فهو
طبيعة قصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم باجمعهم مشتركون فيها واما السعادة فهى خير
بالواحد واحد من الناس فهى اذن بالاضافة وليس لها ذات بعينه وهى تختلف بالاضافة الى قاصديها فلذلك
يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد نظن ان السعادة تكون لغير الناطقين فان كان ذلك فانما هى استعداد

استعدادات فيها لقبول تماماتها وكمالاتها عن غير قصد ولا روية ولا ارادات فتلك الاستعدادات هي الشوق او
ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة فاما ما يتأتى للحيوانات في مآكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي ان يسمى
بختا واتفاقا ولا يؤهل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان ايضا وانما استحسن ذلك الحد الذي ذكرناه للخير المطلق
لان العقل لا يطلق السعي والحركة الى ما لا نهاية وهذا اول في العقل ومثال ذلك ان الصناعات والهمم والتدابير
الاختيارية كلها يقصد بها خير ما وما لم يقصد به خير فهو عبث والعقل يحظره ويمنع منه فبالواجب صار الخير المطلق هو المقصود
اليه من كل الناس لكن بقي ان يعلم ما هو وما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي ينتهي الخيرات كلها اليها
ويجعل ذلك الخير غرضنا ونتوجه اليه ولا ننسى ولا نكرر ان الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليها اما بادية بعيدة واما بادية قريبة
ولا يغلط ايضا فيما ليس بخير فنظنه خيرا ويفني اعمارنا في طلبه والتعب ويكل سعينا بمشية الله **اقسام الخير**
الخير على اقسام ارسطو وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي
بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها **فالشريفة** منها هي التي شرفها من ذاتها ويحصل من اقتنائها ايضا شريفا وهي
الحكمة والعقل **والممدوحة** مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية **والتي** هي بالقوة هي مثل التهيؤ
والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت **والنافعة** هي جميع الاشياء التي يطلب لا لذاتها بل ليوصل بها الى الخيرات
وعلى جهة اخرى الخيرات **منها** ما هي غايات **ومنها** ما ليست بغايات والغايات **منها**
ما هي تامة **ومنها** ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتج الى ان نستزيد اليها شيئا
اخر فالتي هي غير تامة كالصحة واليسار من قبل انا اذا وصلنا اليها احتجنا الى ان نستزيد نستفيد اشياء اخر واما
التي ليست بغايات البتة فبمنزلة العلاج والتعلم والرياضة **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هي في
النفس **ومنها** ما هي في البدن **ومنها** ما هو خارج عنهما **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته و
ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما يؤثر للامرين جميعا **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق و
منها ما هو خير عند الضرورة والاتفاق التي يتفق لبعض الناس في وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس
ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس لجميع الناس ولا من جميع الوجوه **وعلى جهة**
اخرى الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر

المقولات فمنها كالقوى والملكات ومنها كالاحوال ومنها كالافعال ومنها كالغايات ومنها كالمواد ومنها كالآلات ويوجد الخير في المقولات كلها يكون على هذا المثال **اما في الجوهر** اعني ما ليس بعرض فالله تعالى وتقدس هو الخير الاول فان جميع الاشياء تتحرك نحوه بالشوق اليه ولان ينال الخيرات الهية من البقاء والسرمد والتمام منه **واما في الكمية** فكالعدد المعتدل والمقدار المعتدل فكالذات **واما في الاضافة** فكالصداقة والرياسات **واما في الاين ومتى** فكالمكان المعتدل والزمان الاليق للنهج **واما في الوضع** فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق **واما في الملك** فكالاموال والمنافع **واما في الانفعال** فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات المؤثرة **واما في الفعل** فمثل نفاذ الامر وروح الفعل **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها معقول ومنها محسوسات **فاما السعادة** فقد قلنا انها خير ما وهي تمام الخيرات وغايتها والتمام هو الذي اذا بلغنا اليه لم نحتج معه الى شيء اخر فلذلك نقول ان السعادة هي افضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى الى سعادات اخر وهي التي في البدن والتي خارج البدن وارسطوطاليس يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء وجودة البخت قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك في اظهار شرفها قال ولهذا قلنا انه ان كان شيء عطية من الله تعالى وموهبة للناس فهو السعادة لانها عطية منه عز اسمه في اشرف منازل الخيرات وفي اعلى مراتبها وهي خاصة للانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجري مجراهم فهذه اقسام الخيرات **واما اقسام السعادة** على مذهب الحكماء فهي خمسة اقسام **احدها** في صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعني ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس **والثاني** في الثروة والاعوان واشباههما حتى يتسع لان يضع المال في مواضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منه اهل الخير خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يزيد في فضائله ويستحق الثناء الجميل عليه **والثالث** ان يحسن احدوثته في الناس وينتشر ذكره بين اهل الفضل فيكون ممدوحا بينهم ويكثرون الثناء عليه لما يفيض فيهم من الاحسان والمعروف **والرابع** ان يكون منجحا في الامور وذلك اذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه حتى يصير الى ما يامله منه **والخامس** ان يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه بريا من الخطاء والزلل جيد المشورة في الاراء فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على

على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك **واما الحكماء**
الذين كانوا قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا على ان الفضايل والسعادات
كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضايل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها من فضائل
البدن ولا ما هو خارج البدن وان الانسان اذا حصل تلك الفضايل لم يضره في سعادته ان يكون سقيما ناقص
الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في افعالها مثل فساد العقل ورداءة الذهن وما
اشبههما فاما الفقر والخمول وسقوط الجاه وسائر الاشياء الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في السعادة البتة فاما
الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم يجعلوه آلة كما شرحناه فيما تقدم فلذلك اضطروا
الى ان يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن ايضا اعني الاشياء
التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكماء يحقرون امر البخت وكلما يكون به ومعه ولا يؤهلون تلك الاشياء
لاسم السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زايل ولا متغير وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يجعلون لاخس الاشياء
وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر ولا ينال له بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا النظر اختلف القدماء
في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهؤلاء هم القوم الذين حكينا
عنهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وسموا الانسان ذلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك حكموا انها ما دامت متصلة
بالطبيعة وكدرها ونجاسات البدن وضروراته وحاجات الانسان به وافتقاراته الى الاشياء الكثيرة فليست سعيدة
على الاطلاق وايضا ما دامت كذلك لا تكمل بوجود الاشياء العقلية لانها تستتر عنها بظلمة الهيولى لغير نقاوتها ونقصانها
فهي انها اذا فارقت الجهالات وصفت وخلصت قبلت الاضاءة والنور الالهي اعني العقل التام ويجب على
راي هؤلاء ان يكون الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الآخرة بعد موته واما ما دام حيا انسانا
فليست له سعادة تامة واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان نظن ان الانسان ما دام
يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الآراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلها لنفسه اولا ولابناء جنسه وخليفة الله
تعالى ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا

تام السعادة وارسطاطاليس يحقق هذا الرأي وذلك انه يتكلم في السعادة الانسانية والانسان هو المركب عنده من
بدن ونفس ولذلك حد الانسان بالناطق المائت وبالناطق الماشي برجلين وما اشبه ذلك وهذه الفرقة التي
رئيسها ارسطوطاليس ترى ان السعادة الانسانية تحصل في الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يصير الى اقصاها ولما راى الحكيم
ذلك ان الناس مختلفون في هذه السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم اشكالا شديدا احتاج الى التعب في الابانة
عنها والى اطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى في الثروة واليسار والمريض يرى انها في الصحة والسلامة
والذليل يرى انها في الجاه والسلطان والخليع يرى انها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها في
الظفر بالمعشوق والفاضل يرى انها في افاضة المعروف والفيلسوف يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العقل فهي
عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما يجب فهي كلها سعادات وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك الشيء احق باسم السعادة ولما
كان كل واحد من هاتين الفرقتين نظرت نظرا ما وجب ان نقول في ذلك ما نراه صوابا وجامعا للرأيين فنقول ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التي تسمى الملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما فهو بالجزء
الجسماني الذي يناسب به الانعام مقيم في هذا العالم الجسماني السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوي واقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والارواح الطيبة وينبغي ان يفهم من قولنا العالم
السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيما تقدم فانا قد قلنا هنالك انا لسنا نعني بالعلوي المكان الاعلى في الحس ولا بالعالم السفلي
المكان الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو سفلي وان كان محسوسا في المكان الاعلى وكل معقول فهو علوي وان كان معقولا
في المكان الاسفل وينبغي ان يعلم انه ليس يحتاج في صحبة الارواح الطيبة اعني المستغنية عن الابدان الى شيء من
السعادات البدنية التي ذكرنا ما سوى سعادة النفس وحدها اعني المعقولات الابدية التي هي بالحقيقة الحكمة فقط فاما ما دام
الانسان انسانا فليس يتم له السعادة الا بتحصيل الحالين جميعا وليس يحصلان على التمام الا بالاشياء النافعة في الوصول
الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن يكون من الناس على احدى مرتبتين اما في رتبة الاشياء الجسمانية متعلقا بامورها السفلى
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها متحركا نحوها مغتبطا بها واما ان يكون في الاشياء
الروحانية متعلقا بامورها العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الدنيوية ومعتبرا بها ناظرا في علامات القدرة
الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا للخيرات عليها سابقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها

قبولها على نحو استطاعتها واى امرئ لم يحصل فى احدى هاتين المنزلتين فهو فى رتبة الانعام بل هو اضل لانها ما اهملت
تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا اعطيت استطاعة تحركها نحو هذه المراتب العالية وانما تحركت شوقها نحو الكمالات
الخاصة بها والانسان معرض لها ممنوب اليها مزاح العلة فيها وهو مع ذلك لم يحصل لها ولا سعى نحوها فهو مع ذلك شوق
لضدها يستعمل قواه الشريفة فى الامور الدنية فتلك محصلة لكمالاتها التى تخصها فاذن الانعام اذا ضيعت الخيرات
الانسية وحرمت جوار الارواح الطيبة ودخول الجنة التى وعد بها المتقون فهو معذورة والانسان غير معذور
بل مثل الاول مثل الاعمى اذا حاد عن الطريق فتردى فى بئر فهو محروم غير ملوم ومثل الثانى مثل البصير الذى يمشى على بصيرة
حتى يتردى فى البئر فهو ملوم غير مرحوم **واذ قد** تبين ان السعيد لا محالة فى احدى المرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا
ان احدهما ناقص مقصر عن الاخرى وان الانقص منهما لا يخلو ولا يبرئ من الالام والحسرات لاجل انخداع الطبيعة والزخارف
التى يعرض فيها يلابسه فيعوقه عما يلاحظه ويمنعه من الترقى فيها على ما ينبغى ويشغله بما يتعلق به من الامور الجسمانية فصاحب
هذه الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب الرتبة الاخرى هو السعيد التام وهو الذى يوفر حظه من الحكمة
مقيم بروحانيته بين الملا الاعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستضيئ بالنور الالهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته
بها وقلة عوائقه عنها فلذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التى لا يخلو منها صاحب الرتبة الاولى منهما ويكون مسرورا
ابدا بذاته مغتبطا بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الاول فليس يميل الا بتلك اللذات ولا يغتبط الا بتلك المحاسن
ولا يهش الا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه واحب الاقتباس منه وهذه الرتبة هى
التى من وصل اليها فقد وصل الى اخر السعادات واقصاها وهو الذى لا يبالى بفراق الاحباب من اهل الدنيا ولا يتحسر على فوت ما يفوتها
من التنعم بها وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه الخارجة عنها
كلا لا عليه الا فى ضرورات يحتاج اليها البدن الذى هو مرتبط به لا يستطيع الانفلات عنه الا عند مشية
خالقه وهو الذى يشتاق الى صحبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذى
لا يفعل الا ما اراده الله منه ولا يختار الا ما قربه اليه ولا يخالفه الى شئ من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع
بخدائع الطبيعة ولا يلتفت الى شئ يعوقه عن سعادته وهو الذى لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت
مطلوب الا ان هذه الرتبة الاخيرة يتفاوت الناس فيها تفاوتا عظيما اعنى ان من يصل اليها من الناس

يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وها ان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم كلامه اليهما واختار المرتبة الاخيرة
منهما وذلك في كتابه المسمى بفضائل النفس وانا اورد الفاظه التي نقلت الى العربية بعينها **قال اول** رتب الفضائل
التي تسمى سعادة ان يصرف الانسان اراداته ومحاولاته الى مصالحه في العالم المحسوس من الامور المحسوسة من امور النفس
والبدن وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاكلا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الامور المحسوسة تصرفا لا يخرج
به عن الاعتدال الملائم لاحواله الحسية وهذه حال قد تتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات الا ان ذلك بقدر معتدل
غير مفرط وهو على ما ينبغي او قريب منه الى ما لا ينبغي مع ذلك انه يجري امره نحو صواب التدبير المتوسط في الفضيلة وما لا يخرج
به عن تقديم الفكر وان لابس الامور المحسوسة وتصرف فيها **ثم الرتبة الثانية** وهي التي يصرف فيها الانسان فيها آراءه
ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير ان يتلبس مع ذلك بشيء من الاهواء والشهوات ولا يكترث
بشيء من القنيات الحسية الا بما تدعو اليه الضرورة ثم تتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من الفضيلة وذلك
ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك **اما اولا** فاختلاف
طبائع الناس **وثانيا** على حسب العادات **وثالثا** بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم **ورابعا**
بحسب هممهم **وخامسا** بحسب شوقهم ومعاناتهم ويقال ايضا بحسب جدهم ثم يكون النقلة من آخر هذه الرتبة اعني هذا
الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهي التي لا يكون فيها تشوق الى آت ولا تلفت الى نحو ما جاء ولا تشبع
بما مضى ولا تتطلع الى نائي ولا ضن بقريب ولا خوف ولا فزع من حال ولا شغف بها ولا طلب لحظ من الحظوظ الانسانية و
من الحظوظ النفسانية ايضا ولا بما تدعو الضرورة اليه من حاجات البدن والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية
ايضا لكن يصرف الجزء العقلي في اعالي رتب الفضائل وهو صرف الولد الى الامور الالهية ومعاناتها ومحاولتها
بلا طلب عوض اعني ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها لنفسها فقط وهذه الرتبة ايضا تتزايد في الناس بحسب
الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة اليقين وصحة الثقة وبحسب منزلة من يبلغ الى هذا المبلغ من الفضيلة في هذه
الاحوال التي عددناها الا ان يكون يتشبه بالعلة الاولى واقتداءه بها وتابعا لها وآخر المراتب في الفضيلة ان يكون
افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هي خير محض والفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من اجل شيء
آخر غير الفعل نفسه وذلك ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها اي هو الامر المطلوب نفسه المقصود لذاته والامر هو غاية

غاية ولاسيما غاية في غاية النفاسة ليس يكون من اجل شئ اخر وافعال الانسان لو اصار كلها الهية فهى كلها انما يصدر عن لبابه وذاته الحقيقية التى هى عقله الالهى الذى هو ذاته بالحقيقة ويزول ويتهذب وتموت سائر دواعى طباعة البدن بسائر عوارض النفسين البهيميتين وعوارض التخيل المتولد عنهما وعن دواعى نفسه الحسية فلا يبقى له حينئذ ارادة و لا غاية خارجا عن فعله من اجلها يفعل ما يفعل لكنه يتصرف في فعله بلا ارادة ولا همة في سواه اى لا يكون غرضه في فعله غير ذات الفعل وهذا هو سبيل الفعل الالهى فهذه الحالة اخر مراتب الفضائل التى يتقبل فيها الانسان افعال المبدء الاول خالق الكل عز وجل اعنى ان يكون فيما يفعله ولا يطلب به حظا ولا مجازاة ولا عوضا ولا زيادة لكن يكون فعله بعينه هو غرضه اى ليس يفعل من اجل شئ غير ذات الفعل وغير ذاته وهو ان لا يفعل ما يفعله من اجل شئ اخر فعله نفسه وذاته نفسه هو العقل الالهى نفسه وهكذا يفعل البارى تعالى لذاته لا من اجل شئ اخر خارج عنه وذلك ان فعل الانسان في هذه الحالة تكون كما قلنا خيرا محضا وحكمة محضة فيفعل الفعل لنفس اظهار الفعل فقط لا لغاية اخرى يتوخاها بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل انما هو على القصد الاول من اجل شئ خارج عن ذاته اعنى انه ليس ذلك لاجل سياسة الاشياء التى نحن منها لانه لو كان ذلك لكانت افعاله حينئذ انما كانت ويكون ويتم مشاركة الامور التى من خارج لتدبير ما يريد تدبيره منها باهتمامه بها وعلى هذا يكون الاشياء التى هو خارج اسبابا وعللا لافعاله وهذا شنيع قبيح تعالى الله عنه علوا كبيرا لكن تدبيره عز وجل بالاشياء التى من خارج وفعله الذى يدبرها ويرفدها انما هو على القصد الثانى وليس يفعله من اجلها لنفسها لكن من اجل ذاته وذلك لاجل ان ذاته يفضل لذاتها لا من اجل الفضل عليه ولا من اجل شئ اخر فكذلك الانسان اذا بلغ غاية التصوير في الامكان من الاقتداء بالبارى عز وجل يكون افعاله التى يفعلها على القصد الاول من اجل ذاته نفسه الذى هو العقل الالهى ومن اجل الفعل نفسه وان فعل فعلا يتعدى الى غيره وينتفع به فليس فعله له على القصد الاول من اجل ذلك الغير لكن يفعل بذلك الغير ما يفعله بقصد ثان وفعله ذلك من اجل ذاته بالقصد الاول ومن اجل الفعل نفسه اى لنفس الفضيلة ولنفس الخير لان فعله ذلك فضيلة وخير فهو اذا يفعل ذلك لنفس الفضيلة لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة ولا للتباهي وطلب الرياسة ومحبة الكرامة فهذا هو غرض الفلسفة ومنتهى السعادة الا ان الانسان لا يصل الى هذه الحال حتى يغنى ارادته كلها التى بحسب الامور الخارجة وتغنى العوارض النفسانية

ويموت عن طاهره التي يكون له عن العوارض ويتلي سفارا العليا وحمة الهيه وانما يحصل من ذلك اذا صفا من امر الطبيعة البتة ونقى
منه نقاء كاملا وحينئذ يميل بمعرفة الهيه وشوق الهيا ويوثق بالامور الالهية بما يتقرر في نفسه اعني في نفس ذاته التي هي العقل
كما تقررت فيه القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوايل العقلية لان تصور العقل ومرتبته في هذه الحال للامور الالهية في
يقينه لها يقينه اشرف والطف واظهر واشد انكشافا وبيانا من القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوايل العقلية فهذه الفاظ
هذا الحكيم قد نقلتها نقلا وهي نقل ابي عثمن الدمشقي وهذا الرجل فصيح باللغتين جميعا اعني اليونانية والعربية مرضي النقل
عند جميع من طالع هاتين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لايراد الالفاظ اليونانية ومعانيهم في الفاظ العرب
ومعانيها حتى لا يختلف في لفظ ولا معنى ومن رجع الى هذا الكتاب اعني المسمى بفضايل النفس قرا هذه الالفاظ
كلها كما نقلتها وليس يحصل هذه المراتب التي يترقى فيها صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم اجزاء الحكمة كلها علما
ويستوفيها اولا اولا كما رتبنا في كتابنا المسمى بترتيب السعادة ومن ظن من الناس انه يصل اليها بغير تلك الطريقة
على غير ذلك المنهاج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعدا كثيرا **وليتذكر** في هذا الموضع الخطاء العظيم الذي وقع
فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العاملة واهمالها وبترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال البيت
مدنية ولا بحسب ما يقسطه التميز والعقل ولذلك رتبنا هذا الكتاب بعقب ذلك الكتاب ليحصل منهما السعادة الاخيرة المتعلقة
بالحكمة البالغة ويهذب لها النفس ويهيا لقبولها كما هو يغسل وينقيه من الامور الطبيعية وشهوات الابدان ولذلك
سميته ايضا بكتاب الطهارة وقد قال ارسطو في كتابه المسمى بالاخلاق ان هذا الكتاب لا ينتفع به الاحداث كثير منفعة ولا
من هو في طبيعة الاحداث قال ولست اعني بالحدث هاهنا حدث السن لان الزمان لا تاثير له في هذا المعنى وانما اعني الذي
يقصده اهل الشهوات واللذات الحسية فاما انا **فاقول** انما ذكرت هذه المرتبة الاخيرة من السعادة طمعا ان يصل
الاحداث اليها بل ليرغب فيها من فهمها فقط وليعلم ان هاهنا مرتبة حكمية لا يصل اليها الا اهلها الا على مرتبتها فليتشبث كل
من نظر في هذا الكتاب بالمرتبة الاولى منها اعني الاخلاق التي وصفتها فان وفق بعد ذلك واعانه الشوق الشديد والحرص
التام وسائر ما ذكرناه وحكيناه عن الحكيم فليترق في درج الحكمة وليتصاعد فيها بجهده فان الله عز وجل يعينه ويوفقه
فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة فهو فارق بجسمه الكثيف دنياه الدنية ويجوز بنفسه اللطيفة التي تعنى
بتطهيرها وغسلها من الادناس الطبيعية الاخرة العلية فقد اعد ذاته للقاء خالقه عز وجل عند ما فيه الشرف

[illegible]

فيه نزاع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته ولا شوق اليها لانه قد طهر منها وبرى عنها ولم يبق فيه ارادة لما
كان عليها وقد استعملها الى رب العالمين ولقبول كراماته وفيض نوره الذي كان غير مستعد له ولا فيه قبول من
عطائه وآياته حينئذ السبخ الذي وعد به المتقون والابرار مما سبق الانبياء اليه واراق قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنالك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر **واذ قد** لخصنا امرها بين المنزلتين من السعادة فقد تبين بيانا كافيا ان احديهما بالاضافة الينا اولى
والاخرى ثابتة ومن المحال ان نسلك الى الثانية من غير ان نمر بالاولى فقد وجب ان نحرص ابدا بان نبلغ من ذلك الرتبة
الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق التي بينا الكتاب عليها ونحل عن بيان الرتبة الثانية الى
وقت آخر **ونقول** ان من عني ببعض القوى التي ذكرناها دون بعض ونهض لاصلاحها في وقت دون وقت لا يحصل له
السعادة وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا عني ببعض اجزائه دون بعض ووقت دون وقت فانه لا يكون
مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا اختص بنظره طائفة دون طائفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرياسة
على الاطلاق وارسطاطاليس قد مثل بان قال ان الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة الربيع ولا يوم واحد معتدل
بالهواء يبشر بالربيع فسبيل طالب السعادة ان يطلب السيرة اللذيذة عنده فيستديمها دائما فان تلك السيرة هي وحدها
لذيذة في نفسها فلذلك قلنا انه ينبغي ان يشوقها دائما ويثبت عليها ابدا ولما كانت السير ثلثا لانها تنقسم بانقسام
الغايات الثلث التي يقصدها الناس اعني سيرة اللذة وسيرة الكرامة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها وافضلها وكانت
فضائل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذيذة
بنفسها لان افعالهم مختارة وممدوحة وكل انسان يلتذ بما هو محبوب عنده فيلتذ بالعدل العادل ويلتذ بالحكمة
الحكيم فالافعال الفاضلة والغايات التي ينتهى اليها بالفضائل لذيذة محبوبة السعادة اذا من كل شيء وارسطو
يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرنا من الشرف ولست الذ واجود من كل فانها محتاجة الى السعادة
الاخر الخارجية لان يظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذي
لا يظهر فضله وحينئذ لا يكون بينه وبين غيره فرق كما وصفنا من حالها فيما تقدم فالمطلع اذن على حقيقة هذه
السعادة المتمكن من اظهارها وفعله بها هو الذي يلتذ بها وهو الذي يسر سرورا حقيقيا غير ممزوج ولا

من زخرف باطل وهو الذي يخرج من حد المحبة الى العشق والهيمان وحينئذ يألف ان يصير سلطانه الغالب سلطانا
بطالا وقبيحا ولا يحلو باشرف جزء منه اخس جزء فيه اعني بالشره المنحرف الى اباطيل اللذات التي يشركها فيها الحيوانات التي
ليست بناطقة فان تلك لذات حسية تنصرم وشيكا ويملها الحاس سريعا فاذا دامت عليها صارت كريهة وربما
عادت مؤلمة وكان للحس لذة عرضية علمنا ان للعقل لذة ذاتية علوية فمن لا يعرف اللذة الحقيقية كيف يشتاق اليها
ومن لا يعرف الرياسة الذاتية كيف يصبو اليها فلذلك قدمنا وصفها وشوقنا اليها واعادة الكلام فيها مرارا وقلنا ان من
لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العملية اعني ايثار الافضل والعمل به والثبات عليه لا يشتاق اليه
ولا يرتاح اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ وينعم بما شرحناه ودللنا عليه وكان للحكماء المتقدمين مثل يضربونه
في الهياكل وهي مساجدهم ومصلاهم وهو هذا الملك الموكل بالدنيا يقول ان ههنا خيرا وههنا شرا وههنا ما ليس بخير
ولا بشر فمن عرف هذه الثلثة حق معرفتها تخلص مني ونجى سالما ومن لم يعرفها قتلته شر قتلة وذلك اني لا اقتله قتلا
وحيا يستريح به مني ولكني اقتله اولا اولا في زمان طويل فهذا المثل من نظر فيه وامله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره
وينبغي ان يعلم ان السعيد الذي ذكرنا حاله ما دام حيا تحت هذا الفلك الداير بكواكبه ودرجاته ومطالع
سعوده ونحوسه سيمر عليه من النكبات والنوائب وانواع المحن ايضا ما يمر على غيره الا انه لا يتاثر منها ولا يلحقه ما يلحق
غيره من المشقة في احتمالها لانه غير مستعد لسرعة الانفعال منها بعادة الهلع والجزع ولا قابل لاثار الهموم والاحزان بالاحوال
العارضة له وان اصابه من هذه الالام شيء فقد ما لا ينقل عن السعادة الى ضدها بل لا يخرجه عن حد السعادة البتة فلو
بلاء ايوب النبي عليه السلام واضعافه لما اخرجه عن حد السعادة وذلك لما يجد في نفسه من المحافظة على شروط الشجاعة الصبر على
ما يجزع منه اصحاب جزع الطباع فيكون سروره او لا بذاته ثم بالاحاديث الجميلة التي تنتشر عنه ويرى القابل الذي
يدعى الشيطان والمنازع الذي يقوى الغلبة كل واحد منهما يصبر على شدائد عظيمة من تقطيع اعضائه وترك الشهوات
التي يتمكن منها طلبا لما يحصل له من الغلبة وانتشار الصيت فيرى نفسه احرى واولى منهما بالصبر اذ كان غرضه اشرف وغايته
في الفضل اعلى استصغارا لهم ولا انه يستعد في نفسه يسير ... لغيره وارسطو يقول ان بعض الاشياء الذي يعرض من سوء البخت
يكون يسيرا سهل التحمل فاذا عرض للانسان واحتمله لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همته وبعضها يكون عظيما
عسير التحمل فاذا احتمله دل على كبر نفسه وعظم همته ومن لم يكن سعيدا او لا سبقت له رياضة بهذه الصناعة

الصناعة الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه سيفعل افعالا قويا فيعرض له عند حلول المصائب احدى حالتين
اما الاضطراب لفاحش لالم الشديد والخروج بهما الى الحد الذي يرثى له اقوى رحم واما ان يتشبه بالسعداء ويسمع
بعظمهم فيظهر الصبر والسكون لا انه جزع الباطن سالم الضمير كما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى اليمين تحرك
الى الشمال كذلك يكون حركات نفوس الاشرار يتحرك الى خلاف ما يحملونها عليه من الجميل اعني انهم اذا
تشبهوا بالاعفاء وتعاطوا افعالهم تحركت الى ضد ما حملوها عليه واذا تشبهوا بالانجاد واهل العدالة كانت
هذه حالهم ومما استدل به من كتاب ارسطاطاليس على انه كان يقول ببقاء النفس بالمعاد كلامه المذكور في
كتاب الاخلاق وهو هذا قال قد حكمنا ان السعادة شيء ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان الانسان
قد يلحقه تغيرات كثيرة واتفاقات شتى فانه قد يمكن فيمن هو ارغد الناس عيشا ان يصاب بمصائب ما عليها [illegible]
الناس سعيدا افليس ينبغي على هذا القياس ان يسمى انسان من الناس سعيدا ما دام حيا بل ينتظر به آخر عمره ثم يحكم عليه
فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات الا ان هذا قول في غاية الشناعة اذ كنا نقول ان السعادة هي فعل
ما ثم قال وفي هذا الموضع ايضا موضع شك فانه يظن بالميت انه يلحقه خير وشر اذ كان يلحق الحي ايضا وهو لا يحس به
مثل الكرامة والهوان واستقامة امر الاولاد واولاد الاولاد ثم الشقاء فهذه الاشياء حيرة لانه قد يمكن فيمن عاش عمره
كله الى ان بلغ الشيخوخة سعيدا وتوفي على هذا السبيل ان يلحقه مثل هذه التغيرات في اولاده حتى يكون بعضهم
خيارا حسني السيرة وبعضهم بضد ذلك ومن البين انه قد يمكن ان يوجد بين الاباء والاولاد تباين واختلاف
بكل جهة ولكن من المنكر ان يكون الميت يتغير غيره يصير مرة سعيدا ومرة اخرى شقيا ومن المنكر ان لا يكون امور
الاولاد متصلة بالوالدين في وقت من الاوقات ولكن ينبغي ان يعود الى ما كان الشك واقعا فيه فهذا الشك
الذي اورده على نفسه في هذا الموضع هو شك من يعتقد ان للانسان بعد موته احوالا وانه سيتصل به لا محالة
من امور اولاده واولاد اولاده احوال مختلفة بحسب اختلاف سير الاولاد فكيف يقول ليت شعري في الانسان
اذا مات سعيدا ثم لحقه من شقاء بعض اولاده وشر سيرته وسوء سيرته من لحقه من نسله ما كان ضد
سيرته وهو حي فانه ان غير سعادته كان هذا شنعا وان لم يلحقه شيء من ذلك كان ايضا شنعا اترى بعض
يحيل هذه الشكوك بان يقول ما هذا معناه ان سيرة الانسان ينبغي ان يكون مشهورة لانه يتذكر به كثيرا

يعرض له افضل الافعال من الصبر له ومن اختيار الافضل لا الافضل مرة ومن التصرف فى الاموال اذا اتسع فيها واحسن

التجمل اذا عدمها اليكون سعيدا فى جميع احواله غير منتقل عن السعادة بوجه من الوجوه فالسعيد اذا ورد عليه محن عظيم جعل

سيرته الكثر سعادة لانه يلازمه مداراة جميلة ويصبر على الشدائد والمحن صبرا حسنا ومتى لم يفعل ذلك كدرت سعادته

ونغصها عليه وجلبت له احزانا وعمو ما يعوقه عن افعال كثيرة والجميل اذا ظهر من السعداء فى هذه الاحوال كان اشد

اشراقا وحسنا وذلك اذا احتمل بالبر وعظم من المصائب جميعا لا سهلا بعدان لا يكون ذلك لعدم حسه ولانفصاله

فهم بالامور بل لشهامته وكبر نفسه قال واذا كانت الافعال هى ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احد من السعداء

شقيا لانه ليس يفعل فى وقت من الاوقات افعالا الامر ولة فاذا كان هذا هكذا فالسعيد يكون ابدا مغبوطا وان

حلت به المصائب التى حلت بين باس فلا يكون شقيا ولا سريع التنقل وذلك انه ليس ممالا ينتقل عن السعادة

بسهولة ولا ينقله عنها الآفات اليسيرة لكنه لا ينقله الا الآفات العظيمة الكثيرة وليس ممايكون سعيدا اذا نالته هذه

الامور زمانا يسيرا بل اذا اظفر بامور جميلة فى زمان طويل ثم قال بعد ذلك واما حال الانسان بعد موته

فان القول بان الآفات التى يعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليس يتعلق به اصلا هو قول غير مقبول اصلا

وهو مضاد لما يعتقده جميع الناس اذا كانت الامور العارضة لهؤلاء كثيرة متعسرة وكان بعضها يتعداهم الى الميت

اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الجزئية بلا نهاية فاما اذا قلنا قولا كليا على طريق الرسم فخليق

ان يكتفى بما يقوله فيها وهو انه كما ان الآفات التى تعرض للميت فى حيوته بعضها يثقل عليه احتماله ويثلم فى سيرته

وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التى تعرض

للاحياء مخالف لما تعرض لهم اذا ماتوا اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل وتشبه ان يكون ان كان يصل

اليهم من هذه الاشياء شئ خيرا كان او شرا ان يكون يسيرا نزر المقدار مما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينزع

السعادة من السعداء فهذا حل ارسطاطاليس للشك الذى اورده **ولما قلنا** ان السعادة الذ الاشياء و

افضلها واجودها وامحها وجب ان نبين وجه اللذة فيها باتم مما قلناه فيما مضى وبالله التوفيق **فنقول** ان اللذة تنقسم

قسمين احدهما لذة انفعالية والاخرى لذة فعلية اى فاعلية واما اللذة الانفعالية فهو شبيهة بلذة الاناث واللذة الفاعلية

ليشبه لذة الذكور ولذلك صارت اللذة الانفعالية هى التى تشاركنا فيها الحيوانات التى ليست بناطقة وذلك انها

مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهي انفعالات النفسين البهيميتين واما اللذة الاخرى فهي الفاعلة وهي التي تختص
بها الحيوان الناطق ولانها غير هيولانية ولا منفعلة انما صارت لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك
عرضية واعني بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات تزول سريعا وتنقضي وشيكا بان تنقلب ذواتها
فتصير غير لذات بل يصير آلاما او مكروهة بشعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها واما اللذة الذاتية
فانها لا تصير في وقت آخر غير لذيذة ولا تنتقل عن حالها بل هي ثابتة ابدا واذا كانت كذلك فقد صح حكمنا في ان
السعيد تكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء
ان اللذة اذا كانت صحيحة ساقت البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة ولذلك ايضا تسوق النفس من الجهل
الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية
ميل قوي جدا وشوقه اليها شوق مزعج شديد وليس يزيد العادة في قوة طبع لنا كثير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في
المبدأ من القوة والشوق فلذلك متى كانت اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط والفعل منها القوي والاستحسان
لها اتى الانسان فيها كل قبيح وهون على نفسه منها كل صعب ولم ير موضع الغلط ولا مكان القبيح حتى يتصل الحكمة فاما اللذة العقلية
الجميلة فامرها بالضد وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها لمعرفته وتمييزه احتاج فيها الى صبر ورياضة
حتى اذا استبصر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحال من ههنا يتبين ان الانسان
في ابتداء كونه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القيم حتى يهذبه ويقومه ثم الى الحكمة البالغة
ليتوصل بتدريج الى آخر مرتبة وقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود وذلك انا قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاضل ابدا
تكون في الاعطاء ولذة المنفعل ابدا تكون في الاخذ وليس يظهر ابدا لذة السعيد الا بابراز فضائله واظهار حكمته
ووضعها في مواضعها وكما ان الكاتب الجيد انما يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق واللطيف والمرسيقار
فالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهلها ومستحقيها وهذا هو معنى الجود
وحقيقته الا ان الجود على الاشياء باكرمها افضل واشرف من الجود بادونها واخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه
وعلو مرتبته ضد ما عرض لذلك الجود الآخر مع نذارته وقلته وذلك ان اصحاب الاموال والقنيات الخارجة تنقص اموالهم
بالانفاق وتنثلم بالبذل وتفنى ذخائرهم بالتبذير واما صاحب السعادة التامة فان امواله لا تنتقص بالانفاق بل تزيد

لا يفنى ذخائره بالتبذير بل يبقى تلك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء واللصوص وسائر المتسلطين فهو محروسة
من كل فقد ولا سبيل للاشرار اليها بوجه ولا تنقلب ضرّا لذة السعيد كيف يكون ومن اين يبتدي ومن اين ينتهي كيف يكون
السرور الحقيقي واللذة الذاتية **وتبين** ايضا انها ابدية زمانية الهية وان ضدها الذي هو الشقاء لذاته بالضد على
العكس اعني ان اللذاته كلها عرضية ومستقلة عن طباعها الى اضدادها حتى تصير مولمة او مكروهة وانها غير الهية بل شيطانية
وغير محمودة بل مذمومة وبقي ان ينظر في السعادة هل هي ممدوحة قال ارسطو نقول ان الاشياء التي هي في غاية الفضل
لا يوجد لها مدح لانها افضل واجل من ان يمدح قال وذلك انا ننسب المتألهين والجياد من الناس الى السعادة وليس
يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح البذل لكنها يبجلها ويكرمها على انه امر الهي فالاشياء التي هي
افضل من المدح الله والخير وذلك ان سائر الاشياء الفاضلة انما يمدح بان ينسب الى الله والى الخير فان المديح انما
هو للفضيلة والعمل بها انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف من ان يمدح بل انما يمجد ونحن نمجد الله تعالى
ونقدس تمجيدا كثيرا فاما السعادة فلانها امور الهية فانما يفضل الاشياء كلها لاجلها فهي لذلك ممجدة فعلى هذا الاحتمال
ينبغي ان لا يمدح السعادة لانها اجل من كل مديح بل يمجدها في نفسها ويمدح الامور كلها بها وبقدر قسطها منها

تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق وهو طهارة النفس

قد قلنا فيما سلف ان السعادة يظهر في الافعال من العدالة والشجاعة والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التي احصيناها
وحددناها وهذه الافعال قد يظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل في ذلك انه قد يعمله بعض الناس عمل العدول وليس بعادل
ويعمل عمل الشجعان وليس بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف ومثال ذلك ان من ترك الشهوات من المآكل و
المشارب وسائر اللذات التي ينهمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها اكثر مما يحضره واما لانه لم يعرفها ولم يباشرها كالقرويين
الذين يبعدون عن المدن وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال واما لانه استشعر خوفا من دنيا ولها وكرهها للحقه بسببها
واما لانه ممنوع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفاء وليسوا باعفاء فان العفيف على الحقيقة من وفى العفة
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض اخر غيرها واثرها لانها فضيلة ثم يتناول كل واحد من
مشهواته بمقدار الحاجة ومن الوجوه التي ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وكذلك حال الذي يعمل عمل الشجعان وهو
ليس بشجاع وذلك ان من باشر الحروب واقدم على ركوب الاهوال لبعض ما يوصل اليه بالمال او لبعض الرغبات

الرغبات التي لا يحركه فان مثل هذا لا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمل بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى
شجاعة وكل من كان اكثر شرها ونهما كان اكثر شجاعة وذلك انه يخاطر بنفسه الشريفة ويصبر على المكاره العظيمة طمعا
في المال وما يوصل اليه بالمال وقد راينا اهل الشطارة يعملون عمل الاعفاء وعمل الشجعان وابعد الناس من كل فضيلة
وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلطان وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والجراح
التي لا يئن منها ويتهوكون فيه الى اقصى الصبر حتى الصلب وشد العنق وقطع الايدي والارجل وضروب المثل طلبا للاسم
الذكر بين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل وقد يعمل ايضا عمل الشجعان من يخاف لائمة عشيرته
او عقوبة سلطانه او خوف سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعمل عمل الشجعان ايضا من اتفق له مرارا كثيرة ان يغلب
اقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلا بمواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يركبون
الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور وحرصهم على متعة الدنيا منهم لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على
الحيوة الردية كما يفعل الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل واشباههما من الحيوان فانه يشبه الشجاعة وليست
شجاعة حقيقة وذلك انها قد وثقت بقوتها وانها تزيد فوق غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل بتمام القدرة
والقوة وثقة النفس بالغلبة وما كان مناسبا في هذه الحال بالعلة في السلاح الذي عنده ومنعه غيره ويكون
السلاح منا اذا اقدم على الاعزل وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع خوفه من الامر القبيح اشد من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت الجميل على الحيوة القبيحة على ان لذة الشجاع
ليست تكون في مبادي اموره فان مبادي الامور تكون موذية له ولكنها تكون في عواقب الامور وايضا باقية
مدة عمره وبعد عمره لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده الصحيح في وحدانية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله
وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والاخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصر مدته وعلم انه لا محالة
سيموت بعد ايام قلائل ثم كان محبا للجميل ثابتا على الراي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع العدو
عن استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف من الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فانما استبقى
شيئا لا محالة فانيا زايلا وان تاخر اياما معدودة ثم هو في هذه الحيوة اليسيرة ممقوت مسبوب مكدر الحيوة
بالذل وضروب الصغار وهذه حالة الشجاع مع قوى نفسه اعني مقاومته لشهواته واستذلاله لها فان هما

تلك الغاية بعينها واسمع كلام الامام الاجل سلام الله عليه الذى صدع عن حقيقة الشجاعة ثم قال عليه السلام لا صحابه بعد

ايها الناس انكم لا تقتلوا تموتوا والذى نفس ابن ابى طالب عليه السلام بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من ميتة

على الفراش ومن عرف حد الشجاعة تبين له ان جميع ما احصيناه الان ليس بمعدود فيها وان كان يشبهها بالصورة

وذلك انه ليس كل من تقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من يخاف من الفضايح فهو شجاع وذلك من لا يفزع من ذهاب

ثروة او فضيحة حرمه او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق ومن الزمانة فى الامراض او تقدم الاخوان

والاصدقاء او عند اضطراب البحر وهيج الامواج وهو بينها فهو بان يوصف بالجنون مرة وبالوقاحة مرة اولى من ان

يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه فى وقت الامن والطمانينة بان يثب من سطح عال ويصعد

من مرتقى صعب او يحمل نفسه على حوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة او يسا ورفيلا هائجا او ثورا صعبا او سبعا

لم يرض من غير ضرورة تدعوه الى ذلك بل مراياة بالشجاعة واظهار الرتبة الشجاعة فان مثل هذا بان يسمى متهورا

نفا اولى منه بان يسمى شجاعا فاما من خنق نفسه خوفا من الفقر والذل واهلكها بالسم وما اشبهه هربا من ضيم يصير

اليه فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن

لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصبر على ما يرد عليه من الشدائد صبرا جميلا ويعمل اعمالا يليق بتلك الحال كما شرحنا

فيما تقدم ولذلك يجب ان تعظم الشجاع وتشح على نفسه وحقيق على السلطان خاصة والقيم بامر الدين والملك

ان ينافس فيه ويجل قدره ويعلى خطره ويميزه من كل من يتشبه به ممن ذكرناه **فقد تبين** من جميع

ما قلناه ان الشجاع هو الذى يستهين بالشدائد فى الامور الجليلة ويصبر على الامور الهائلة ويستخف

بما يستعظمه عوام الناس حتى بالموت لاختيار الامر الافضل ولا يحزن على ما لا درك فيه ولا يضطرب

عند ما يقدحه من المصائب ويكون غضبه اذا غضب بمقدار ما يجب على من يجب وفى الوقت الذى يجب وكذلك

يكون انتقامه على هذه الشرائط فان الحكماء قالت ان من لا ينتقم بحجة فهو لول فاذا انتقم عاد الى حالته من النشاط

وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا واذا لم يكن كذلك كان مذموما **وقد نقل** الينا من الاخبار

المأثورة عمن اقدم عن سلطان قوى امر ان ينتقم منه واهلك نفسه من غير ان يضر سلطانه وايات كثيرة

وكل من اقدم على قرينا وخصم الد لا يستطيع مقاومته فان الانتقام منه يعود بالاعلية وزيادة فى الذل والمعجزة

المهورة واذن ليس يتم شرائط الشجاعة والعفة الا بالحكمة الذى يستعمل كل شى فى موضعه الخاص وبقدره وقسطه العقل له
فكل شجاع عفيف فهو حكيم فكل حكيم شجاع فهو عفيف وهذه الحال بعينها يظهر فيمن عمل عمل الاسخياء وليس بسخى
وذلك ان من بذل امواله فى سهوة او طلبا للسمعة والرياء وتقربا الى السلطان ولدفع مضرة عن نفسه وحرمه
واولاده او بذلها لمن لا يستحق من اهل الشر والملهين والمساخرة او بذلها للطمع فى اكثر منها على سبيل التجارة والمراءة
فكل هولاء يعمل عمل الاسخياء وليس بسخى اما بعضهم فيبذل ما له بطبيعة الشرة واما بعضهم فبطبيعة الطرب
والرياء واما بعضهم فعلى طريق الازدياد من المال والربح فيه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر
المال وهذا اكثر ما يعرض للوارث ولمن لا يتعب باكتساب المال ولا يعرف صعوبة الامر فيه وذلك ان المال
صعب الاكتساب سهل الانفاق وقد شبه الحكماء المال بمن يحمل ثقيلا الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر فى رفعه
واصعاده صعب وتكلف ارساله من هناك امر سهل والحاجة الى المال ضرورية فى العيش وهو نافع فى اظهار الحكمة والفضيلة
ومن اكتسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها يتعذر عند الرجل العادل الحر فاما غير العادل
فليس يبالى كيف اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار الفضلاء ناقص الحظ منه ويوجد حال
ايضا فايمن التحشيا لين منه فاما اضدادهم فلاجل انهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات ولا يبالون كيف وصلوا
اليه فانهم يوجدون ابدا اوفى الحظوظ منه واسعى النفقات شاكرين بختهم والعامة يغبطونهم ويحسدونهم الا ان
العاقل اذا رجع نفسه وهو برى من الدناءات نقى العرض من السوءات لم يتدنس بالقبيح من المكاسب ولم يتطرق اليه
بخيانة ولا سرقة ولا ظلم لمن هو دونه ومثله وتجنب وجوه الغدر والفضائح كالقيادة والخداع وترويج السلع القبيحة
على الملوك واستخراج اموالهم بالخدع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبائح مما يوافق هواهم وما يجرى
مجرى ذلك من السعاية والنميمة والغيبة وضروب لفظ التى يرتكبها طلاب المال من غير وجهه من ضروب المعايب
ووجوه الظلم السيئ بنفسه وتعاوض من المال الراحة والمحمدة فلا يلوم البخت ولا يبغض الدول ولا يحسد اصحاب
الاموال المكتسبة من غير وجوهها الجميلة فهذه احوال المكتسبين للاموال ومنفقيها وكذلك حال من عمل عمل
العادل وليس بعادل وذلك انه اذا عدل فى بعض الامور رياءة ليصل به الى كرامة او مال او غير ذلك من
الشهوات او لغرض اخر مما عددناه فيما تقدم فليس هو عادلا وانما يعمل اعمال العدل للغرض الذى يقصده فيستبقى

ان ينسب عمله الى غرضه فانه بحسب هذا يفعل ذلك كما قلناه وشرحناه فاما العادل بالحقيقة فهو الذي يعدل قواه وافعاله
واحواله كلها حتى لا تزيد بعضها على بعض ثم يروم ذلك فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك
فضيلة العدالة نفسها لا غرضا آخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية ادبية يصدر عنها افعاله كلها بحسبها
ولما كانت العدالة توسطا بين اطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص اليه صارت اتم الفضائل واشبهها بالوحدة
واعني بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاعلى والرتبة القصوى وكل كثرة لا ينظمها معنى يوحدها فلا قوام لها ولا ثبات
والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي تفسد الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال بوجه ما ولا اعتدال
هو الذي يرد اليها ظل الوحدة ومعناها وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب
الذي لا يحد ولا ينضبط بالمساواة التي هي خليفة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم يدلك على معناه ذلك
ان العدل في الاحمال والاعتدال في الانفعال والعدل في الافعال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي
اشرف النسب المذكورة في صناعة الموسيقى وغيرها ولذلك لا ينقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها
او ظل الوحدة فاذا لم نجد المساواة التي هي المثل بالحقيقة في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي تحيل اليها وترجع الى
حقيقتها وذلك انا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا يوجد النسب الا بين
اربعة او ثلاثة يتكرر فيها الوسط فيصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة ومثال
الاولى انا نأخذ الاولى اربعة فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ج الى د فهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية
ان نأخذ الباء مشتركا فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ب الى ج وهذه النسبة توجد في ثلاثة اشياء وهي النسبة العددية
والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي عملناه في صناعة الارثماطيقي واما
سائر النسب فراجعة اليها ولذلك عظمها الاوائل واستخرجوا لها وبها العلوم الجمة الشريفة ولما كانت نسبة المساواة عزيزة لانها ظل
الوحدة عدلنا الى حفظ هذه النسب لا غير في الامور الكثيرة التي يلابسها لانها عائدة اليها وغير خارجة عنها فنقول ان العدالة
الجارية علينا ثلاثة الاول في قسمة الاموال والكرامات والثاني في قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشرى والمعاوضات والثالث في قسمة الاشياء
التي وقع فيها الظلم والتعدي واما العدالة الاولى التي تكون في القسم الاول فتكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة
اعني ان تكون نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال ان نسبة هذا الانسان

الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان توفر
عليه ويسلم له فاما الامور التي تكون في القسم الثاني اعني المعاملات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة
اخرى مثال ذلك ان نقول ان نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف ثم ليس يمنع
مانع ان نقول ان نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار ونقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسي
ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية بالعرض والعمق جميعا
ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهي بالعمق اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان اخر فبطل هذه النسبة
بحيف وضرر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضرر مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه فالعادل من شانه ان يساوي
بين الاشياء غير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد وزاد على الناقص
حتى يحصل له التساوي ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك
ولكن ينبغي ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما في باب المعاملات
طرفان احدهما زيادة والاخر نقصان فان اخذ اقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان اخذ اكثر مما يجب كان
خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هي التي ترسم في كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال ولان الانسان
مدني بالطبع ولا يتم له عيش الا بالتعاون فبعضهم يجب ان يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطي
بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من النجار عمله واعطاه عمله فهي معاوضة اذا
كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الاخر فيكون الدينار بين المقوم
او المسوي بينهما فالدينار هو عدل ومتوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذي يستعمل ويقوم به
جميع الامور التي تكون بالمعاملات حتى تجري على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة ولذلك يستعان
بالحاكم الذي هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذي هو عدل ساكت وارسطو يقول
ان الدينار ناموس عادل ومعنى الناموس في لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك فهو يقول في
كتابه المعروف بنيقوماخيا ان الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله
والدينار ناموس ثالث فناموس الله تعالى قدوة النواميس يعني الشريعة والحاكم الثاني مقتد به والدينار مقتد ثالث

وانما قومت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة ليصح المشاركات والمعاملات وتباين جهة الاخذ والاعطاء فالبيان
هو الذى يساوى بين المختلفات ويزيد فى شئ وينقص من اخرى حتى يحصل بينهما الاعتدال فيستوى المعاملة بين الفلاح والنجار
مثلا وهذا هو العدل المدنى وبالعدل المدنى عمرت المدن وبالجور المدنى خربت المدن وليس يبيع نوع من انواع عمل
يسير يساوى عملا كثيرا ومثال ذلك ان المهندس ينظر نظرا قليلا ويعمل عملا يسيرا ويساوى نظره هذا اعمالا كثيرة من
اقوام يكدون بين يديه ويعملون ما يرسمه وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا ولكنه يساوى اعمالا كثيرة ممن يكون
بين يديه ويعمل الاعمال الثقيلة العظيمة فالجاير يبطل التساوى وهو عند ارسطاطاليس على ثلث منازل فالجاير
الاعظم هو الذى لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والجاير الثانى هو الذى لا يقبل قول الحاكم العادل فى معاملاته و
اموره كلها والجاير الثالث هو الذى لا يكتسب ويغصب الاموال فيعطى نفسه اكثر مما يجب وغيره اقل مما يجب له قال
فالمتمسك بالشريعة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب بحيز السعادة من وجوه العدالات لان الشريعة تامر بالاشياء المحمودة فانها
من عند الله عز وجل فلا تامر الا بالخير وبالاشياء التى تفعل السعادة وهى ايضا تنهى عن الرذايل البدنية وتامر ايضا بالشجاعة و
حفظ الترتيب والثبات فى مصاف الجهاد وتامر بالعفة وتنهى عن الفسق والافتراء والشتم والهجر وبالجملة تامر بجميع الفضايل وتنهى عن
جميع الرذايل فالعادل يستعمل العدالة فى ذاته وشركائه المدنيين والجاير يستعمل الجور فى ذاته وفى اصدقائه ثم جميع شركائه
المدنيين قال وليست العدالة جزءا من الفضيلة بل هى الفضيلة كلها والجور الذى هو ضدها ليس جزءا من الرذيلة لكنها
الرذيلة كلها فبعض انواع الجور ظاهر يفعل بالارادة مثل ما يكون فى البيع والشرى والكفالات والعروض والعوارى
وبعضها خفى يفعل ايضا بالارادة مثل السرقة والفجور ومثل القيادة وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها غشمى
على سبيل التغلب مثل التعذيب بالدهن والقيد والاغلال والقرية فالامام العادل الحاكم بالسوية يبطل هذه
الانواع ويخلف صاحب الشريعة فى حفظ المساواة فهو لا يعطى ذاته من الخيرات اكثر مما يعطى غيره ولذلك قيل فى الخبر
ان الخلافة تطهر الانسان قال فاما العامة فانها يؤهل مرتبة الامامة اعنى الخلافة من كان شريفا
فى جنسه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك من كان حكيما فاضلا فان الحكمة والفضيلة هى التى تعطى الانسان
الرياسات والسيادات الحقيقية وهى التى رتبت الاول والثانى فى مرتبتهما وفضيلتهما واسباب المضرات كلها
تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوة ويتبعها الرداءة والثانى الشرارة ويتبعها الجور والثالث الخطاء

الخطاء ويتبعها الحزن والرابع الشقاء ويتبعه حيرة ومذلة وحزن اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار لغيره الا انه
لا يكون مؤثرا له ولا ملتذا به لكنه يفعله ليصل به الى شهوته وربما كان متألما به كارها له الا ان قوة الشهوة تحمله
على ارتكاب ما يرتكب واما الشرير فانه يتعمد الاضرار لغيره على سبيل الايثار له والالتذاذ به كمن يسعى الى السلطان له
ويحمله على ازالة نعمة لا يصل اليه منها شئ لكن يتلذذ بالمكروه الذي يصل الى غيره واما الخطاء فان صاحبه لا يقصد
الاضرار لغيره ولا يؤثره ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما فيعرض منه فعل آخر وصاحب الفعل يحزن ويكتئب لما اتفق عليه
من الخطاء واما الشقاء فصاحبه لا يكون مبتدئ فعله ولا له فيه صنع بالقصد لكن يوقعه فيه سبب آخر من خارج
وذلك لمن يصدم به دابته المراد صديقا له فيقتله او يرمي بسهم الى صيد فيصيب له فهذا المسمى شقيا
وهو مرحوم معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة فاما السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا افعالا قبيحة فانهم
يستحقون العتب والعقوبة لان مبدأ فعلهم اليهم وذلك ان السكران يختار ازالة عقله والغضبان والغيران
يختاران الانقياد لهاتين القوتين اذا هاجتا به ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة **فنقول** ان ارسطو
قسم العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين وهو ان يجري الانسان فيما بينه
وبين الخالق عز وجل على ما ينبغي وبحسب ما يجب كما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل اذا
كان هو اعطاء من يجب ما يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة
ولصب ينبغي ان يقوم به الناس والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء
وتادية الامانات والنصفة في المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل اداء الدين
عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطوطاليس في تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل
وان كان ظاهرا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت يظهر في الاخذ والاعطاء
وفي الكرامات التي ذكرناها وجب ان يكون لما يصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التي لا تحصى
تقابل عليه وذلك ان من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان تقابله بضرب من المعاملة فهو جائر فكيف
به اذا اعطى جما كثيرا واخذ اخذا دائما ثم لم يعط في مقابلته شيئا البتة ثم على قدر النعم التي يصل الينا
يجب ان يكون اجتهاده في المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا من الشر يبسط البدل

واوسع العمارة وحمى الحريم وذب عن الحوزة ومنع من الظالم ووفر الناس على ما يختارونه من مصالحهم ومعايشهم فقد
احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه فى نفسه وان كان قد عمهم بالجبر واستحق من كل واحد منهم ان يقابله
بنوع من المعاملة حتى فقد كان جائرا اذ كان ياخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك من جهة رعيته انما يكون
باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الذكر وبذل الطاعة وترك المخالفة فى السر والعلانية والمحبة الصادقة واتمام
سيرته بحسب استطاعته والاقتداء به فى تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته
كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا
الجور والظلم اذا كان فى مقابلة النعم الكثيرة افحش واقبح وذلك ان الظلم وان كان فى نفسه قبيحا فان مرتبته
كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما يكون بحسب قدرها وموقعها وتعدد فوايدها وعايدتها وعلى مقدار عددها فان كانت
النعم كثيرة العدد وعظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا
محبة صادقة ولا مساعاة صالحة واذا كان هذا معروفا منكرا واجبا غير مجحود فى ملوكنا ورؤسائنا فكم بالحرى ان يكون
لملك الملوك الذى يصل الينا فى كل يوم بل فى كل طرفة عين ضروب احسانه الفائض على اجسامنا ونفوسنا التى
لا يقع عليها احصاء ولا عدد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتاديتها اترى نجهل النعم الاولى علينا
بالوجود ثم توليتنا بعدها متواترة بعد ذلك بالخلق المجسد الذى افنى فيه صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء عمره
الف ورقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنه الامر اترانا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات
التى لا نهاية لها وما امدها من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته وما عرضنا به الملك الابدى والنعيم
السرمدى لا لعمرى ما نجهل هذه النعم الا المنعم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يضطر اليه مثله هلة
الحيوان فى جميع اوقاته واذا كان الخالق تعالى غنيا من معونتنا ومساعينا فمن المحال القبيح والجور الفاحش
ان لا نلتزم نحن له حقا ولا نقابله على هذه الالاء والنعم بما نزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل
الا ان ارسطاطاليس فى هذا الموضع لم ينص على العبادة التى يجب ان يلتزمها الخالق عز وجل غير انه قال
ما هذه حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغى ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جلاله فبعضهم
راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتصر على

[illegible]

على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده بحسب استطاعته وبعضهم راى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه
بتزكيتها وحسن سياستها والاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة ثم بالحكمة والموعظة وبعضهم
راى ان يجتهد بالفكر في الالهيات والتصرف في المحاولات التي يزيد بها الانسان معرفته بربه عز وجل حتى يتكامل
به معرفته به وبحقيقة وحدانيته وصرف التوكل اليه وهو مما يجب على الانسان لخالقه عز وجل وبعضهم راى
ان الواجب لله عز وجل على الناس ليس سبيله واحدا ولا هو شيء بعينه يلتزمه الجميع التزاما واحدا على مثال
واحد ولكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطاطاليس بالفاظه
المنقولة الى العربية فاما ما قاله الحذاق من الفلاسفة فانهم قالوا عبادة الله عز وجل في ثلثة انواع احدها فيما
يجب له على الابدان كالصلوة والصيام والسعي الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثاني فيما يجب له
على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والمجد وكالفكر بما افاضه
الله على العالم من وجوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف والثالث فيما يجب عنده مشاركات الناس
في المدن وهي في المعاملات والمزارعات والمناكح وفي تادية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب
المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة قالوا فهذه العبادات هي الطرق
المودية الى الله عز وجل وهي التي تجب له على عباده وقال اخرون عبادة الله في ثلاث وهي الاعتقاد
الحق وقول الصواب والعمل الصالح ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن
البدن كالمعاملات والجهاد ثم ان المعاملات ينقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات وهذه
الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير محصاة وللانسان فيها
مقامات ومنازل عند الله فالمقام الاول للموقنين وهو رتبة الحكماء واجلة العلماء والمقام الثاني
هو مقام المحسنين وهو رتبة الذين يعملون ما يعلمون وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل
والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة الصالحين وهولاء هم خلفاء الله عز وجل
بالحقيقة في اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبة المخلصين في
المحبة والنهاية رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق وابعد [illegible] ان

الفضايل اذا حصلت له اربع خلال ولها الحرص والنشاط والثانى العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث
الحياء من الجهل ونقصان القريحة اللذين يحدثان بالاهمال والرابع هذه الفضايل والترقى فيها دائما الخلاف
فهذه اسباب الاتصال وبعدها انقطاعات عن الله عز وجل ومساقطة وهى التى تعرف باللعاين فاولها السقوط الذى يستحق
به الاعراض ويتبعه الاستهانة والثانى السقوط الذى يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذى يستحق
به الطرد ويتبعه المقت والرابع السقوط الذى يستحق به الحجب ويتبعه البغض ومما يشقى العباد اذا حصل على اربع
خلال ولها الكسل والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثانية الغباوة والجهل
المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التى احصيناها فى كتاب ترتيب السعادات والثالثة الوقاحة التى ينتجها
اهمال النفس اذا اتبعت الشهوات وترك ذمها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعة الانهماك الذى يحدث عن
الاستمرار فى القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسماة فى الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزيغ والثانى
هو الرين والثالث هو الغشاوة والرابع هو الختم ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التى عددناها الان لا خلاف بين الحكماء
فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلفون بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطن يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس على كل واحد منها وذلك لحصول فضائلها اجمع فيها
فحينئذ ينهض النفس فيؤدى فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهذه غاية قرب الانسان السعيد من الله تقدس
اسمه قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذى فى الفضايل التى تقدم ذكرها لكن لانه فى الوسط
والجور فى الطرفين وانما صار الجور فى الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك ان من شان الجور طلب الزيادة
والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما النقصان فمن الضار فلذلك يكون الجاير مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما لنفسه فيستعمل الزيادة فى النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما فى الضار
فبالضد وعلى العكس وذلك انه اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة فالفضايل التى قلنا انها
اوساط بين الرذايل هى غايات ونهايات وذلك ان الوسط بينها نهاية لها من كل جهة فهو فى غاية البعد
منها ولذلك من بعد من الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيما تقدم فقد تبين من جميع ما

ما قدمنا ان الفضائل كلها اعتدالات وان العدالة اسم يشملها ويعمها كلها وان الشريعة انما كانت تقدر الافعال الارادية
التي تقع بالروية وبالوضع الالهي صار المتمسك بها في معاملاته عدلا والمخالف لها جائرا فلهذا قلنا ان العدالة لقب للمتمسك
بالشريعة الا انا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية يصدر عنها هذه الفضيلة فصاحب هذه الهيئة النفسانية فالك
ستري روية واضحة ان صاحبها ينقاد للعدالة للشريعة طوعا ولا تضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا نظر
على المناسبات التي ذكرناها لانها مساواة واثرها على اصالة الراي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت
عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما
وهو الشيء الثالث وربما كان شيئين كما قلنا ليس المناسبات بين اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم هذه الهيئة
النفسانية غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا قد بينا انه قد لا يقع عن هيئة نفسانية
كمن يعمل اعمال العدالة وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل
واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة فاما
الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة لضد الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة
الجبان وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والحرية ليشتركان
في باب المعاملات والاخذ والاعطاء الا ان العدالة يقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها
والحرية يقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شان من يكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه ومن
شان المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلهذه العلة يكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام
العالم بالعدالة الزم منه بالحرية وخاصية الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصية محبة الناس هي
في بذل المعروف لا في جميع المال فالحر لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل لتصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحامد
ومن خاصيته ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو لا يتمسك
عن الكسب البتة لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا التقتير
به فلا يستعمل التقتير فكل حر عادل وليس كل عادل حرا وفي هذا الموضع مسألة صعبة سأل عنها الحكماء
انفسهم واجابوا عنها بجواب مقنع ويمكن ان يجاب فيه بجواب اخر هو اشد اقناعا ويجب ان يذكر الجميع وهو انه

[illegible]

ان يشك فنقول اذا كانت العدالة فعلا اختياريا يتعاطاها العادل ويقصد بها تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس
فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس ومن القبيح المستنبع ان يظن
بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك بان
قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي به الى ضرر وعذاب فانه يكون ظالما لنفسه وضارا لها من حيث يقدر ان ينفعها وذلك
لسوء اختياره وتركه مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه لا على سبيل الاضرار بنفسه بل لانه
يظن انه ينفعها بالعاجل في الخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الآخر فهو ان
الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى لمجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى
وانما المنكر ان يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة يقع بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا
بقدر المقابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا لعمري منكر ممتنع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له
قوى كثيرة فيعمل بكل قوة عملا مخالفا للعمل الآخر اعني ان صاحب الغضب اذا استشاط يختار افعالا مخالفة لافعاله اذا
كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب النشوة الطروب فان من شان هؤلاء ان يستخدموا
العقل الشريف في تلك الحال ولا يستشيرونه وكذلك نجد العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الرضا
ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال ليت شعري كيف اخترت تلك الافعال القبيحة فيلحقه الندم وانما
ذلك لان القوة التي تهيج به تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا له جميلا به لتنبيه حركة القوة الهائجة
فاذا سكن عنها وراجع عقله ورأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات ومحبة
الكرامات التي لا يستقصيها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا اتفق للانسان ان يكون لبصيرته
فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله
كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اعني المساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا السبب قلنا
ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يأنس بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع ما تأمره به حتى اذا بلغ مبلغ الذي
يمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رأيه وقويت
بصيرته ونفذت عزيمته وههنا مسألة صعبة اشد من الاولى وهو ان الفضل محمود جدا وليس بقبيح

تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع الفضائل كلها ولا مزيد
عليها فكيف يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذي تقدم صفته
في سائر الاخلاق خاصة للعدالة فالجواب عنها ان التفضل احتياط يقع من صاحبه في العدالة ليامن وقوع النقصان
في شيء من شرائطها وليس الوسط في كل طرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة في باب السخا
اذا لم يخرج الى التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه حتى يصير كالاحتياط عليه فاما
العفة فان النقصان من الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرائطه وابلغ في الاحتياط عليه
واخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة اعني بذلك ان من يعطي ماله من لا يستحق شيئا منه او زاد
مساواة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كما يستحق ثم زاد تفضلا وهذه الزيادة
ليست من الزيادة التي ذكرناها في باب السخا لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذي يسمى تبذيرا وهو مذموم
ويعرف ذلك من وجدها وهو بذل ما لا ينبغي لمن لا ينبغي على الوجه الذي لا ينبغي فاذن التفضل غير خارج عن شرط
العدالة بل هو محتاط عليها ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان ان التفضل غير العدالة بل هو العدل
مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرجها عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي هي
فاما الاطراف التي هي رذائل اعني الزيادة والنقصان التي سبق القول فيها ففي كلها هيئات مذمومة غير الهيئات المحمودة
هذه الاشياء هي التي يحصل لك معانيها ومشاركة بعضها لبعض ومباينة بعضها لبعض ايضا فان الشرح التام لها لعله امر كلياته ليس
يحيط بالجزئيات واعني بذلك ان العدالة التي هي المساواة تكون مرة في باب الكم ومرة في باب الكيف
وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كانت
بالكمية لوجب ان يكونا متساويين في المساحة ولو كانا كذلك لتغالبا واحال احدهما الاخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولو احالت هذه العناصر بعضها بعضا لفني العالم في ادنى مدة ولكن الباري تقدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فتكافت فليس يغلب احدهما الاخر بالكلية وانما يحصل الجزء منها اليسير في الاطراف
اعني حيث يلتقي نهاياتها فاما كلياتها فلا تقدر على كلياتها لان قواها متساوية متعادلة على غاية
التسوية والتعادل وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض ولعله اشار

على الآخر بزيادة يسيرة لاحال الزايد الناقص وقوى عليه فضل العالم فسبحان القائم بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم فلما كانت الشريعة تامر بالعدالة الكلية لم تامر بالتفضل الكل بل ندبت اليه ندبا ليستعمل في الجزئيات
التى لا يمكن ان نعين عليها لانها بلا نهاية وجزمت القول فى العدالة الكلية لانها محصورة يمكن ان يعين عليها
وقد تبين ايضا مما قدمناه ان التفضل انما يكون فى العدالة التى تخص الانسان فى نفسه اعنى تسوية المعاملة
اولا فيما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان حاكما بين قوم ونصب
له فى تلك الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان
وتبين ايضا ان الهيئة التى يصدر عنها الافعال العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة ومتى نسبت
الى من يعاملها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال المرء العاقل العدل على
نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبينا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا
هاج به بعضها واشرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها يطلب
الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتهايجت حدث فى الانسان باضطرابها انواع الشر وجذب كل واحد
منها الى ما يوافقه وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدها او رسطو يشبه
كل من كان كذلك بمن يحدث من جهتين فينقطع بينهما وينشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسب
تلك الجهات وقواها وليس ينظم هذه الكثرة التى ركبت منها الانسان الا الرئيس الواحد الموهوب له بالفطرة
اعنى العقل الذى به يميز من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا ساسها العقل اعتدلت
وزال عنها سوء النظام الذى يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرناه من اصلاح الاخلاق مبنى عليه فاذا تم
للانسان ذلك اعنى ان يعدل على نفسه واحرز هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه واهله
وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك فى الاباعد ثم فى ساير الحيوان واذ قد صح ذلك وظهر ظهورا بينا
فقد ظهر ايضا ظهورا ان شر الناس من جار على نفسه ثم على اصدقائه ثم عشيرته ثم على كافة الناس والحيوان لان
العلم باحد الضدين هو العلم بالضد الآخر فخير الناس العادل وشرهم الجاير كما قلنا وقد قال قوم ان نظام
امر الموجودات كلها وصلاح احوالها معلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه

هذه الفضيلة اعني الهيئة التي تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فاته شرف المحبة ولو كان المتعاملون
احباء لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف وذلك ان الصديق يصحب صديقه ويريد له ما يريده لنفسه وليس يتم الثقة
والتعاضد والتوازر الا بين المتحابين فاذا تعاضدوا وجمعتهم المحبة وصلوا الى جميع الصوابات ولم يتعذر عليهم
المطالب وان كانت صعبة شديدة وحينئذ يستوي الاراء الصائبة ويتعاون العقول على استخراج الغوامض
من التدابير القوية ويتقوون على نيل الخيرات كلها بالتعاضد وارسطاطاليس احد من نصر هذا الراي
وقواه وهولاء القوم انما نظروا الى فضيلة التاحد التي يحصل بين الكثرة ولعمري انها اشرف غايات
اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا تواصلوا واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فتصير
القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم راي صحيح ولا عمل صواب ويكون مثلهم في جميع ما يحاولونه
مثل من يريد تحويل ثقل عظيم بنفسه ولا يطيق ذلك فان استعان بقوة غيره حركه ومدبر المدينة انما يقصد
بجميع تدابيره ايقاع المودات بين اهلها واذا تم له هذا خاصة فقد تم له جميع الخيرات التي يتعذر عليه وحده
وعلى افراد اهل مدينة وحينئذ يغلب فرائض الله ويعمر بلاده ويعيش هو ورعيته مغبوطين ولكن هذا التام
المطلوب المرغوب فيه لا يتم الا بالاراء الصحيحة التي يرجى الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات
القوية التي لا يحصل الا بالديانات التي يقصد بها وجه الله عز وجل واصناف المحبة كثيرة وان كانت
ترتقي كلها الى وجه واحد وسنقول بعون الله فيها بما سنح فيما يتلوا هذه المقالة

تمت المقالة الرابعة

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه
وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون
الى تمامها ولا سبيل لافرادهم والوحدة لواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحناه فيما مضى فالحاجة
صادقة والضرورة داعية الى حال تجمع وتولف بين اشتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص
الواحد الذي يجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له والمحبة انواع واسبابها تكون بعدد انواعها
فاحد انواعها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا والثاني ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل
سريعا والرابع ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في

مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب بينها اربع وهى اللذة والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس فى مقاصدهم
فلا محالة انها اسباب المحبة من تعاون عليها وصدا سببا للوصول اليها واما المحبة التى تكون سببها اللذة فهى التى ينعقد سريعا
وتنحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التى سببها الخير فهى التى ينعقد سريعا وتنحل
بطيئا واما المحبة التى سببها النافع فهى التى ينعقد بطيئا وتنحل سريعا واما المحبة التى يتركب من هذه اذا كان فيها الخير
فانها تنحل بطيئا وينعقد بطيئا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة ويكون فيها مجازاة
ومكافاة فاما التى تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالاحرى بها ان يسمى الفا ويقع بين الاشكال منها خاصة واما
التى لا نفوس لها من الاحجار وامثالها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعى الى مراكزها التى تخصها وقد يوجد بينها منافرة و
مشاكلة بحسب امزجتها الحادثة فيها من عناصرها الاول وهذه الامزجة كثيرة اذا وقع فيها ما يتناسب نسبة تالفية
او عددية او مساحية حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا حدث اضداد هذه النسب وقعت بينها منافرة وتحدث لها
اشياء تسمى خواص وهى افعال بديعة غريبة وهى التى تسمى اسرار الطبايع ولا سيما فى النسب نعنى نسبة المساواة ولها اضداد اعنى
لهذه النسب وهى مبينة مشروحة فى صناعة الارثماطيقى وفى صناعة التاليف واما الامزجة التى بحسب هذه النسب و
الوقوف عليها فهى خفية عنا عسيرة المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليست يكون هذه الافعال والخواص
التى تحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة فى العناصر نفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها
ههنا لانها تشبه المشاركات والمنافرات التى بين الحيوان فى الظاهر ولا تشبه التى تحدث بين الناس بالارادة
وهى التى نتكلم فيها ونقع فيها مكافاة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة الا انها اخص منها وهى المودة بعينها وليس يمكن
ان يقع بين جماعة كثيرين كما يقع المحبة فاما العشق فهو افراط فى المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع
الا بين اثنين فقط ولا يقع فى النافع ولا فى المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحب اللذة بافراط ولمحب الخير بافراط واحدهما
مذموم اعنى اللذة والاخر محمود اعنى الخير فالصداقة بين الاحداث ومن كان فى مثل طباعهم وانما يحدث لاجل اللذة فهم
يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا وربما اتفق ذلك بينهم فى الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بقدر بقاء
اللذة ومعاودتها لا بعد حال واذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة للوقت والحال والصداقة
بين المشايخ ومن كان فى مثل طباعهم انما يقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها فاذا كانت المنافع كثيرة بينهم

بينهم وهي في الاكثر طويلة المدة كانت صداقتهم باقية فحين ينقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم
منها ينقطع مودّاتهم واما الصداقة بين الاخيار فيكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئاً ثابتاً غير متغير
الذات صارت مودّات اصحابها باقية غير متغيرة وايضاً فلما كان الانسان مركباً من طبايع متضادة صار
ميل كل واحد منها يخالف ميل الاخر واللذة التي يوافق احدها يخالف لذة الاخرى التي يضادها فلا يخلص له لذة
غير مشوبة باذى ولما كان فيه جوهر آخر بسيط الهي غير مخالط لشئ من الطبايع الاخر صارت له لذة غير مشابهة
لشئ من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضاً والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقاً تاماً
خالصاً شبيهاً بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي تدّعيها بعض المتألهين وهي التي يقول فيها ارسطو حكاية
عن ابن فلسطس ان الاشياء المختلفة لا تتشاكل ولا يكون منها تأليف جيد فاما الاشياء المتشاكلة فهي التي يسير
بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تألفت
صارت شيئاً واحداً لا غيرية بينها اذ الغيرية انما يحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام
فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التأليف فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انها انما تلتقي بنهاياتها
وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذ كان التاحد فيها ممتنعاً وانما يتاحد بحسب استطاعتها اعني
بملاقاة سطوحها فاذن الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة
ولم يحدث بها انواع الشهوات واصناف محبة الكرامة اشتاق الى شبهه ورأى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا يشوبه
مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفنا
استعمل الطبيعة البدنية ام لم يستعملها الا انه بعد مفارقة الطبيعة الكلية احق بهذه الرتبة العالية
لانه ليس يصفو الصفاء التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان
ولا تقدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملال ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون لسبب المنفعة
واللذة فقد يكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها تنقضي وتنحل مع تقضي النافع واللذيذ لانها
عرضية وكثيراً ما يحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما
جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانسية ذلك ان الانسان انسي بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان

فى اللغة العربية وقد تبين ذلك فى صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر ع سميت انسانا لانك ناسى
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وينبغى ان يعلم ان هذا الانس الطبيعى فى
الانسان هو الذى ينبغى ان يحرص عليه ويكتسبه مع انه احسننا لا يقوتنا جهدنا واستطاعتنا فنبدله تحابا
كما وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع فى المادب ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما وجبت على الناس ان يجتمعوا فى مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلوة الجماعة على صلوة
الوحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعى الذى هو مبدء المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتاكد فيهم
بالاعتقادات الصحيحة التى تجمعهم وهذا الاجتماع فى كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة و
الدليل على ان غرض صاحب الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا
فى كل سبوع يوما بعينه فى مسجد يسعهم ليجتمع ايضا شمل اهل المحال والسكك فى كل اسبوع كما اجتمع شمل
اهل الدور والمنازل فى كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربين
فى سنة مرتين فى مصلى بارز يصحرين ليسعهم المكان ويتراؤا ويتجدد الانس بين كافتهم وليشملهم المحبة الناظمة
لهم ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان فى العمر كله مرة واحدة فى الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر
على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدينة المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة وتصير لهم فى
الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين فى كل سنة وفى كل اسبوع وفى كل يوم فيحنوا بذلك
الانس الطبيعى الى الخيرات المشتركة ويتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم وليغتبطوا بالدين
القويم الذى الفهم على تقوى الله وطاعته والقيم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا يزول
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هى صناعة الملك والاوايل لا يسمون بالملك الا من
حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واوامره ونواهيه فاما من اعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا
يؤهلونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهى يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى
والملك هو حارس هذا الوضع الالهى حافظ على الناس ما اخذوا به وقال حكيم الفرس وملكهم اردشير ان
الدين والملك اخوان توامان لا يتم احدهما الا بالاخر فالدين اس والملك حارس وكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما

ما لا حارس له فضائع ولذلك حكمنا على الحارس الذي نصب للدين ان يتيقظ في موضعه ويحكم صناعته ولايبا
امره ما هو بنا ولا يشتغل بلذة يخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها فانه متى اغفل شيئا من حدوده دخل عليه
من هناك الخلل والوهن وحينئذ يتبدل اوضاع الدين ويجد الناس الرخصة في شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فينقلب هيئة السعادة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض فيؤديهم ذلك الى الشتات والفرقة
ويبطل الغرض الشريف وينتقض النظام الذي طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فيحتاج حينئذ الى تجديد الامر
والى استيناف التدبير وطلب الامام المحق والملك العادل ولنعد الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه
الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين واحدا بعينه جاز في السببين ان ينعقدا معا
وينحلا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما وينحل الاخر مثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمراة هي سبب المحبة
بينهما فقد يجوز ان يجتمع المحبتان لان السبب واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الاخر وذلك ان اللذة يتغير
ولا يكاد يثبت كما تقدم وصفها وقد يجوز ان يتغير سبب احد المحبتين ويثبت الاخر وايضا فان بين الرجل وزوجته
خيرات مشتركة ومنافع مختلطة وهما يتعاونان عليها لان الخيرات الخارجة عنا وهي الاسباب التي يحرزها
المنازل فالمراة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذي يكتسبها ويحضرها فاما الرجل فانه ينتظر من
زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هي التي تحفظها وتدبرها التدبير ولا تضيع فمتى قصر احدهما اختلف المحبة
وحدثت الشكايات ولا يزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملامة وكذلك حال المنفعة
المشتركة بين سائر الناس اذا كانت واحدة بعينها فاما المحبات المختلفة التي اسبابها ايضا مختلفة فهي
اولى بسرعة التحلل ومثال ذلك ان تكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الاخر لاجل اللذة كما يعرض
ذلك في المتعاشرين على ان احدهما مغن والاخر مستمع فان المغني منهما يحب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب
المغني لاجل اللذة وكما يعرض ايضا في العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر
المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكي والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل
له مطلوبه وطالب المنفعة يتاخر عنه مطلوبه وليس يكاد الامر يعتدل بينهما وكذلك ترى العاشق يشكو
معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغي ان يشكى لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافاة بما يستحق

صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة الانواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت ويوشك ان يكون المحبة بين الرئيس والمرؤس
والغنى والفقير يعرض بها اللوم والتوبيخ لاجل اختلافات الاسباب لان كل واحد ينتظر من المكافات عند الاخر ما
لا يجده عنده فيقع فساد في الثبات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ومن بعد ذلك طلب العدالة المبسوطة بينهما والملك
الحاصة لا يرضيهم من مواليهم الا الزيادة الكثيرة في الاستحقاق وكذلك الموالي يستبطون العبيد في الخدمة
والشفقة والنصيحة وفي جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة التي لا يكاد يخلو منها الا على
شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به وهو صعب فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها
لا يكون للذة خارجة ولا المنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهي قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم
الاخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم مخالفة ولا منازعة وينصح بعضهم بعضا ويلاقوا بالعدالة والتساوي في
ارادة الخير وهذا التساوي في النصيحة وارادة الخير هو الذي يوحد كثرتهم ولهذا حد الصديق بانه اخر هو انت
الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم
لان هولاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة او المنفعة ولا يعرفون الخير بالحقيقة ولا اغراضهم صحيحة فاما
السلاطين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فليس يدخلون
تحت الحد الذي ذكرناه وفي صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود عندهم وكذلك
حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة لما قلنا
الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد فان كان بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا
ذاتيا واعني بالذاتي ههنا ان الوالد يرى في ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التي يخصه من الانسانية
في شخص ولده نسخا طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا ويحق له ان يرى ذلك لان التدبير
الالهي بالسياقة الطبيعية التي هي مشية الله عز وجل هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب
الثاني في ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يحب له جميع ما يحبه لنفسه ويسعى
في تاديبه وتكميله لكل ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولدك افضل منك لانه يرى
انه هو وكما ان الانسان اذا تزيد في نفسه حالا فحالا ويرتقي في الفضيلة درجة درجة لا يشق عليه ان يقال

يقال له انك افضل مما كنت بل يسره ذلك كله لانه يكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك ثم تفضل ايضا محبة
الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين ثم تزداد محبته له مع التربية
والنشو ويتأكد سروره به وتاميله له ويحدث له اليقين بانه باق به صورة وان فني بجسمه مادة فان هذه
المعاني الجليلة عند اهل العلم يتراى للعوام كانها من وراء ستر فاما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه المرتبة
فان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا اباه الا بعد زمان طويل بعد ان يثبت اباه حسا وينتفع به دهرا ثم يعقل
بعد ذلك امره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذه العلة
وصى الله الولد بوالديه ولم يوص الوالد بولده فاما محبة الاخوة بعضهم بعضا فلاجل ان سبب كونهم ونسبتهم الى واحد
بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى
بعض نسبة اخوية حتى يكون الرياسات محفوظة على شرايطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة
الاب لولده ومعاملتهم اياه هي تلك المعاملة وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده بيانا اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك في
كتاب اخر وعنايته برعيته يجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وتحننا وتعطفا وتعهدا على اقتداء صاحب الشريعة
عليه السلام بل المشرع الشريعة تعالى ذكره في الرافة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم
وبالجملة في كل ما يجلب الخير ويمنع الشر وانه عند ذلك يحبه رعيته محبة الولد للاب الشفيق ويحدث بينهما تلك النسبة
وانما يختلف هذه المحبات بالتفاضل الذي يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية ويكرم السلطان
كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة اخوية ولكل مرتبة من هذه المراتب استيهال خاص واستحقاق واجب
له فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد فانقلبت الرياسات وانعكست الامور فعرض لرياسة الملك
ان ينتقل الى رياسة التغلب وتبع ذلك ان ينتقل محبة الرعية الى البغض وعرض لرياستهم ان تصير محبة الاخيار
الى تباغض الاشرار ويبقى الانفة نفاقا ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له وان اضر بغيره ويبطل الصدق
والخير المشترك بين الناس ويؤول الامر الى الهرج الذي هو ضد النظام الذي رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة واتقنه
بالحكمة البالغة فاما المحبة التي لا يشوبها الانفعالات ولا يطرى عليها الافات وهي محبة العبد لخالقه عز وجل
فانها انما تخلص للعالم الرباني وحده خاصة ولا سبيل لغيره اليها الا بالدعوى الكاذبة وكيف يجد الانسان السبيل

محبة من لا يحس ولا يعرف ضروب نعامه الدارة عليه وجميع احسانه المتصلة به في نفسه وبدنه اللهم الا ان يصور في نفسه
صنما ويظنه الخالق تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون ولعمري انا نرى العامة تدعي المعرفة والمحبة وهم يتصورون شخصا وشبحا فيكونون عبادا تجعلونه من دون
الله وهذا هو الضلال البعيد ويدعوا هذه المحبة لله كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا بل هم اقل القليل وهذه
المحبة يتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس يرتقي الى محبتهما
شئ من المحبات الا المحبة الحكماء عند تلاميذهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى اعني الالهية وبين المحبة
الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها شئ من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شئ من الاسباب والنعم
التي تاتي من قبلها لا يشبهها شئ من النعم واما المحبة الثانية فهي تقرب منها لان سببها هو السبب الثاني في وجود
الشخص اعني ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعني محبة الحكماء فهي اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل
ان شرفهم وحبتهم يكون من اجل تربيتهم لنفوسنا وبهم اسباب جودنا الحقيقي وبهم وصلنا الى السعادة
التامة فليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة ما يستحقه الاول ولا ما يستاهله الثاني وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي
حقوقهما ابدا وان خدم باقصى طاعته وغاية وسعه واما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم المنير
فانها من جنس محبة الاولى وفي طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه وللرجاء الكريم
الذي لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته ولانه والد روحاني ورب بشري واحسانه احسان الهي وذلك انه
يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحيوة الابدية في النعيم السرمدي واذا كان شديدا
في وجود العقل وهو المربي لنفوسنا الروحانية بحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم
بذلك ويقدر فضلها عليه بفضل التربية على التربية فيحق ما يجب لتلميذ معلم الحكمة محبة خالصة تشبه
بالمحبة الاولى واذا كانت هذه المحبة من جنس تلك المحبة والطاعة له من جنس تلك الطاعة ثم كان سبب
هاتين النعمتين ومضخهما وسايقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الخيرات كلها وجب
ان يكون حقنا له في اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتمجيدنا اياه ويجب على من بلغ هذه المنزلة من
الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس الاجنبي ولا كرامة

كرامة الصديق للسلطان ولا كرامة الولد للعشيرة ولا كرامة الام للاب فان لكل واحد من هؤلاء واشباههم صنفا
من الكرامة وحقا من الجزاء ليس للآخر ومتى خلط فيه اضطرب وفسد وتشتت الملامات واذا وفى كل واحد منهم حقه وقسطه
من الخدمة والمحبة والنصيحة كان عادلا واوجبت له محبته وعدالته بهاجة على صاحبه ومعامله وكذلك يجب ان
يجري الامر في مؤانسة الاصحاب والخلطاء والمتعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم واخلاصهم من غش المحبة
والصداقة كان اسقاطا من غش الدرهم والدينار فان الحكيم ذكر ان المحبة المغشوشة تنحل سريعا وتفسد وشيكا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين فسدا وفسد هذا واجب في جميع انواع المحبات ولذلك يتعاطى العاقل
ابدا نمطا واحدا ويلزم مذهبا واحدا في ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو لا انه غيره بالشخص واما سائر مخالطيه ومعارفيه فانه يسلك بهم مسالك
اصدقائه وكانه مجتهد في ان يبلغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم
فهذه سيرة الرجل الخير في نفسه ورؤسائه واهله وولده وعشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه بعيد
من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولحب البطالة والتكاسل عن معرفة الخير والتمييز بينه و
بين الشر وما هو مظنون عنده خيرا وليس خيرا من كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت
افعاله كلها ردية وذاته ردية ومن كان ذاته ردية هرب من ذاته لان الرداءة مهروب منها واضطر الى
مصاحبة قوم يناسبونه ليفني عمره معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجد فيها من الاضطراب والقلق وذلك ان
هؤلاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الردية وهاجت بهم القوى المتضادة التي يدعو بهم الى اركان
الشرور المتضادة فيالمون من ذواتهم وتتشاعب نفوسهم انواع الشغب ويجذبهم القوى التي فيهم وهي قوام
التي لم يروضوها بالادب الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الردية وطلب الكرامات التي
لا يستحقونها والشهوات المردية التي تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة
احدثت فيهم الاما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يتهيأ له ان ينجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ولا يستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى يتبع اللهو من
شقائه يهرب من ذاته لانها ردية فاسدة متالمة كثيرة الشغب عليه ويلتمس لعشرته وخلطائه من

هو مثله واسوء حالا منه فيجد فى الوقت راحة بما يشكو اليه لاجل المشاكلة ثم يعود بعد قليل بالاغلبية وزيادة فى خياله وفكره
فالم به وهرب منه فليس له محب ولا لذاته ولا له نصيح ولا لغيره ولا يحصل الا على الندامة ولا يرجع الا على الشقوة فاما الرجل الخير
الفاضل فان سيرته جميلة محبوبة فهو يحب ذاته وافعاله ويستبشر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويختار كل انسان مواصلته ومصادقته
فهو صديق نفسه والناس صديقه وليس يضاده الا الشرير فقط ويعرض لمن هو هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصده
وبغير قصد وذلك ان افعاله لذيذة محبوبة واللذيذ المحبوب مطلوب مختار فيكثر المتقبلون له والمعتنقون به الاخلان
عنه وهذا هو الاحسان الذاتى الذى يبقى ولا ينقطع ويتزيد على الايام ولا ينتقص فاما الاحسان العرضى الذى
ليس بخلقى ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التى يعرض منه يلحق بالمحبات اللوامة ولذلك
يوصى صاحبه بتربيته فيقال له رب الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التى تحدث بين المحسن والمحسن اليه
يكون فيها زيادة ونقصان اعنى ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطاطاليس على ذلك
ان المقرض وصانع المعروف يهتم كل واحد منهم لمن اقرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهدانه ويحبان سلامته
اما المقرض فيما اراد سلامة المقرض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعنى انه يدعو له بالسلامة والبقاء وشمول
النعمة والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقترض فليس يعنى كعناية المقرض ولا يدعو له بهذه
الدعوات فاما مصطنع المعروف فانه بالحق الواجب يحب الذى اصطنع اليه معروفه وان لم ينتظر منه منفعة و
ذلك ان كل صانع فعل جيد فهو يحب مصنوعه فاذا كان المصنوع مستقيما يجب ان يكون محبوبا فى الغاية فقد تبين
ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن اليه فاما المحسن اليه فشهوته للاحسان اشد وازيد من شهوة المحسن وايضا فان المحبة المكتسبة بالاحسان
المرباة على طول الزمان يجرى مجرى القنيات التى يتعب بسببها وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب يكون المحبة له اشد
والضن اكثر ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكترث له ولم يشح عليه وبذله فى غير موضعه كما يفعل الوارث ومن يجرى
مجراهم فاما من وصل اليه بتعب وسافر فى طلبه وسعى بجهده فانه لا محالة تكون شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة
صارت الام اكثر محبة للولد من الاب لما يعرض لها من الحبل والولادة اضعاف ما يعرض للاب وبهذا النوع من المحبة يحب الشاعر
شعره ويحبه اكثر من محبة غيره وكل فاعل فعلا اتعب به فهو يحب فعله ذلك وايضا فان المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل لان الاخذ
منفعل والمعطى فاعل فمن هذه الوجوه تبين ان مصطنع المعروف يحب من احسن اليه حبا شديدا ومن الناس من

يصطنع المعروف لا لاجل المكافأة ومنهم من يصطنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من [illegible] وقد اتضح من البيان ان اعلاهم
مرتبة من صنعه لذاته اعني لذات الخير فهذا شرف الرتبة لا يعدم الذكر الجميل والثناء الباقي فهو من يصطنع
المعروف عنده وان لم يقصد ذلك الشيء بالفعل ولا النية ولما كنا قلنا ان [illegible] لا لاجل شيء آخر وهو ان
كل انسان يحب [illegible] وكانت هذه المحبة [illegible] الاسباب الثلثة التي ذكرناها اعني اللذة والنافع والخير [illegible]
ذلك شأن ان يكون من لا يعرف [illegible] حتى [illegible] الى النفس التي
هي [illegible] يقع في ضروب من [illegible] اللذة [illegible]
سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون [illegible] الفضل منها واما من عرف سيرة الخير [illegible] النفس
افضل السير واكرم الخيرات فلا يؤثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه [illegible]
لها اثر الخيرات واعلاها لعظمها وهو الخير الذي لها بالذات اعني الذي له [illegible] الجزء الالهي [illegible]
بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد حصل لها [illegible] في الشرف الاعلى واهلها [illegible] اللذة الحقيقية التي
لا تفارقه ابدا واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والسماحة [illegible] يتنافس
الناس عليه فيحصل صديقه من ذلك بحظ لا يضيق عنه فرح اصحابه غير الباقية [illegible]
عند صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى المدني فاذن بالواجب يكون تمام
سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يصل مع الوحدة وبالتفرد الى سعادته
التامة فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته
فيلتذ بهم ايام حياته ويلتذون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية الهية غير مملة ولا متغيرة فهي
في جملة الناس والجمهور منهم قليل جدا واما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة فيها فكثير جدا وقد يكتفى من
هؤلاء بالقليل كالابازير في الطعام وكالملح خاصة فاما الصديق الاول الذي وصفناه فلا يمكن ان يكون
كثير العدد ولانه [illegible] افراط المحبة لا يصح ولا يتم الا لواحد فاما من العشيرة وكون اللقاء والسعي [illegible]
واما سيرة الصديق الحقيقي فبذول لاجل [illegible] الفضيلة ولانا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل
يسلك في عشيرة معارفه مسلك الصديق وان لم يقع الصداقة الحقيقية فيهم وارسطاطاليس يقول

ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال لحاجة اليه في كلي الحالتين وذلك انه عند سوء الحال

يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه ولعمري ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويضع احسانه عنده كما

ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويضع عنده المعروف ويطلبه ومن اجل فضيلة الصداقة يتشارك

الناس بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات

واما سقراطيس فانه قال بهذه الالفاظ اني لاكثر التعجب ممن يعلم اولاده اخبار الملوك ووقايع بعضهم ببعض وذكر

الحروب الصغار بين من انقرض ويتوثب على صاحبه ولا يخطر بباله امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل من

الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان نالت اليه

الدنيا بجميع رغائبها فان ظن احد ان امر المودة صغير فهو صغير لان من ظن ذلك وان قدر انه ممن يحق بالهوينا ان يصطفيه

ويحوز صداقة يوثق بها عند البلوى ثم قال لكني اعتقد واقول ان قدر المودة وخطرها عندي اعظم من جميع كنوز الذهب

والفضة ومن ذخائر الملوك العظيمة ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر وما يحوي الدنيا بل وبحار الاقاليم

فيه من الحرث والبناء وسائر الامتعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترته لنفسي من فضيلة المودة وذلك

ان جميع ما عددته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة في صديقه ولا يقوم له جميع الارض مقام صديق

يثق به في مهم ليساعده عليه وسعادة عاجلة او آجلة يحصلها به فطوبى لمن اوتي هذه النعمة العظيمة وهو خلو من

السلطان واعظم طوبى لمن اوتيها في سلطان فذلك ان من باشر امور الرعية واراد ان يعرف احوالهم وينظر في

امورهم حق النظر لم يكفه اذنان وعينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا ذوي ثقة وجد بهم عيونا واذانا وقلوبا

كانها باجمعها له فقرب عليه البعيد واطلع من ادنى امره على اقصاه ورأى الغائب بصورة الشاهد فمن يوجد هذه

الفضيلة الا عند الصديق الصدوق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذ قد من علينا هذه النعمة بحكيمه

الخطيرة فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف نحفظها

لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الرجل الذي ضرب به المثل حين طلب شاة فوجدها وارم فاغتر بها وظن الورم سمينا

فاخذه الشاعر وقال اعيذها نظرات منك صادقة ؛ ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم ؛ لا سيما وقد علمنا ان لا

بين جميع الحيوانات بينهم حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو

هو جواد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع فاما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنبات فاذا اشتبه في شيء منه
حتى يتناول منها شيئا وهو يظنه حلوا فاذا طعمه وجده مرا وربما ظنه غذاء فيكون سما فينبغي ان يحذر ركوب
الخطر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا يقع مودة الخداعين الذين يتصدون لنا بصورة الفضلاء حتى
فاذا احصلونا في شباكهم فترسونا كما يفترس السباع اكيلتها والطريق الى السلامة من هذا الخطر بحسب ما
اخذناه عن سقراط الحكيم اذا اردنا ان نستفيد صديقا ان نسال عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك واياه قال ثم اعرف بعد ذلك
مع اصدقائه فتلك واضفها الى سيرته مع اخوته وابائه ثم تتبع امره في شكره من يجب عليه شكره او كفره
النعمة ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكافي بما
يستطيع وبما يقدر عليه من تعظيم الجميل الذي يسدى اليه ورعاية حقه او يتكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذر عليه ذكر النعم التي تولاها والثناء على صاحبه والاعتداد له بها وليس شيء اشد اضرارا للنفس من الكفر
وحسبك ما اعده الله للكافر نعمته من النقم وتعاليه عن الاستضرار بالكفر ولا شيء اجلب للنعم ولا اشد تثبيتا
لها من الشكر وحسبك ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فيعرف هذا الخلق من يريد مواخاته واعذر ان
يبتلى بالكفور للنعم المستحق لايادي الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وتباطيه عن الحركات
التي فيها ادنى نصب فان هذا خلق ردي يتبعه الميل الى اللذات فيكون تشبثها بالتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
ثالثا في محبته للذهب والفضة واستهانته بجمعهما وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتناصحون حتى اذا وقعت بينهم معاملة في هذين الجوهرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب و
خرجوا الى ضروب العداوات ثم انظر في محبته للرياسة والتفريط فان من احب الغلبة افترس وان يفرط ولا
ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتنبيه على الاستهانة باصدقائه و
طلب الترفع عليهم وليس يتم مع ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان يزول الحال بينهم الى العداوات والاحقاد والاضغان
الكثيرة ثم انظر هل هو ممن يستهين بالغناء واللهو ويشتغل بضروب اللهو واللعب وسماع الملاهي والمضحكات فان ذلك

فما الشغل عن مساعدات الاخوان ومواساتهم وقلة الشكر وترك مكافاة باحسان واهمال النصح وخلل تحتجب به فيه
مشقة وان كان ربما من هذه الاخلال فليحفظ ثبات عهد ولينكف بوله ان وجد فان الكمال عزيز ولينا فان من كان
اصدقاه ثم لم يف بحقوقهم وانتطول الاعضاء عن بعض ما يجب عليه للتصحيح في بعض وربما ترادفت عليه الحال
متضادة اعني ان تدعو مساعدة صديق ان يسر بسروره ومساعدة اخر ان يغتم به وان يسعى لسعي واحد ويقعد
بقعود اخر مع احوال تشبه هذه وكثيرة مختلفة ولا ينبغي ان تهمل ما خصصتك عليه من طلب الفضائل فمن
تصادقه على تتبع صغار عيوب فيصير من ذلك الى ان لا يسلم لك احد ولا يبقى لك من الصديق بل ان يغضي عن
المعايب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها انسان بنظر ما يجده في نفسك من عيب فيحتمل مثله من غيرك واحذر
عداوة من صداقته او مخالطته فخالطه الصديق واستمع قول الشاعر — عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب * فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب * فلذلك يجب عليك
متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له
او حادثة يحدث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان يلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر
له في عينك وحركاتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال
ثقة براحتك وسكونا الى عشرتك وترى السرور في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك فان الحق
الذي يعنى بطلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل ثم ينبغي ان يفعل مثل ذلك بمن يعلم انه
يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية ويثني عليهم من غير اسراف يخرجك الى الملق الذي
يمقتك عليه ويظهر منك تكلف فيه فانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصديق في كل ما يثني عليه والزم هذه
الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة
التامة ويفيدك محبة الغرباء ومن لا معرفة له بك وكما ان الحمام اذا الفيت والتمس بها الستنا وطاف بما حولها
اشكاله وامثاله وكذلك حال الانسان اذا عرفنا امتلط بنا اختلاط الالف الانسي بل يزيد على الحيوان غير
الناطق بحسن الرعي وجميل الثناء ونشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت وجبت
عليك حتى لا تستأثر ولا تختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء اذا لحقته اوجب ومن تمامها عند اعظم نظر عندك

فتامله ان اصابته نكبة او لحقته مصيبة او نبوة الدهر كيف يكون من مواساتك له بنفسك ومالك وكيف تم
له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به ان يسالك صريحا او تعريضا بل الطف على قلبه واسبق الى ما يقتضيه وشاركه
في معضل ما يحتاجه ليحترز عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاحرس احوالك فيها من تغيرها ببطر او
تطاول وان رايت من بعضهم سوء عشرة او نقصانا مما عهدته فاطلب زيادة مداخلة واختلاط به واحتماله
اليك فانك ان انفت من ذلك او داخلك شئ من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانكشفت قوة محبتك
فلست تامن من ان يزول عنك فيستحيي منه ويضطر الى قطيعتهم حتى لا ينظر اليهم ثم حافظ على هذه الشرائط
بالمداومة عليها ليبقى المودة على حالة واحدة وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو شرط في كل ما يحصل
اعني ان مركوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كان من [illegible]
مما يملك وسطوحك كذلك ومتى غفلت وتوانيت لم تامن تقوضه وتهدمه فكيف ترى ان صديقك من جهة
في كل خير ومشاركته في السراء والضراء ومع ذلك كان ضررك تخص بمنفعته واحدة فاما صديقك
فوجد الضرر الذي يدخل عليك بجفائه والنقصان من مودته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب عدوا ويتحول امرا
مضادا فلا تامن غوائله وعداوته مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك منه فلا تجد له خلفا و
لا تستفيد منه عوضا ولا يسد مسده شئ واذا راعيت شروطه وحفظت حقوقه ولزمتها بالمداومة امنت جميع ذلك
ثم احذر المراء معه خاصة وان كان واجبا ان تحذره مع كل واحد فان مماراة الصديق تقلع المودة من اصلها
لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وقصدنا اثره واخترنا عليه الالفة
التي طلبناها واثبتنا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة واني لاعرف من يؤثر المراء
ويزعم انه يقدح خاطره ويشحذ ذهنه ويبرز شكوكه فهو يتعمل في المحافل التي يجمع رؤساء اهل النظر ومتعاطي العلوم
مماراة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جهال العامة وسقاطهم ليزيد في خجل صديقه وليظهر
انقطاعه وبلده وليس يفعل ذلك به عند خلوته ومذاكرته له وانما يفعل حيث يظن انه ادق نظرا واخصر حجة واغزر
علما واحد قريحة وما اشبه هذا الا باهل البغي وجبابرة اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء
يستحقر بعضهم بعضا ولا يزال يصغر صاحبه ويزري على مروته ويطلب عيوبه بتتبع عثراته ويبالغ

كل واحد فيما يفد عليه من مساءة صاحبه حتى يتادى بهم الحال الى العداوة التامة التي تكون معها السعاية وازالة النعم
وربما يتعلك الى سفك الدم وانواع الشر وكيف يثبت مع الرعجبة او يرجى الفه ثم احذر فى صديقك ان
كنت متحققا بالعلم وتحليا بالادب ان يبخل عليه بذلك الفن ويرى فيك انك تحب الاستبداد دونه والاستيثار
عليه فان اهل العلم لا يرى بعضهم فى بعض ما يراه اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل واذا اثر احدهم عليه
قوم تلم بعضهم حال فنقص حظ كل واحد بحظ الآخر فاما العلم فانه بالضد وليس ينقص احدا ما ياخذه غيره منه بل
تركوا على النفقة وترامع الصدقة ويزيد على الانفاق وكثرة فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك الاحوال فيه كلها
قبيحة وهى انه اما ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يعطى ما يحمده او يرد عليه ما لا يعرفه فيزول شوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يضن مكسبه بنقص حظه منه واما ان يكون حسودا فالحسود
بعيد من كل فضيلة لا يود احدا ولا يوده احد وانى لا اعرف من لا يرضى بان يبخل بعلم نفسه حتى يبخل بعلم غيره ويكثر
عتبه ويسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم وما اكثر ما يتصل الى هذا الكتب المولفة
من اصحابها وبينهم مثلها وهذه خلق لا يبقى بعده مودة بل يكسب صاحبه عداوت لا يحسبها ويحسم اطماع
صاحبه من صداقته ثم احذر ان ينبسط اصحابك ومن يخالو بك من ابتاعك ويحمل احدا منهم على ذكر شئ من
اسباب صديقك بغير الجميل فضلا عن كره فى نفسه ولا يخوض فى غيبة شئ يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطعن فى
ذلك احد من اسبابك والمتصلين بك جدا ولا هزلا وكيف يحتمل ذلك فيه وانت عينه وقلبه وخليفته على
الناس بل انت هو من هو نه ان بلغه شئ مما حدثك منه لم يشك ان ذلك كان عن رايك وهواك فانقلب
عدوا ونفر عنك نفور الصيد فان عرفت منه انت عيبا فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة فان
الطبيب الرفيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والكى بل ربما بالغذاء الى الشفاء و
الكفى به عن المعالجة بالدواء ولست احب لك ان تغضى عما تعرفه فى صديقك وان تترك موافقته عليه وليس من حق الصداقة
ان يعرو يبذله لعيون الاضداد حتى يعيبوا ويتلقوا ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخيار
فى صورة النصحاء فيوهمونهم النصيحة وينقلون اليهم فى عرض الاحاديث اللذيذة اخبارا صدقا ثم يشوبونها
بهوية حتى اذا اتجاسر واعلمهم بالحديث المختلف صرحوا لهم بما يفسد مودتهم ويشوه وجوه صدقا فاتهم الى

الى ان يبغض بعضهم بعضاً وللقدماء فى هذا المعنى كتب مؤلفة مفردة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام من يحتال باظافيره اصول البنيان القوية حتى يؤثر فيها اثراً لا يزال يزيد ويمعن حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله وبضرب الامثال الكثيرة الشبيهة بحديث الثور مع الاسد فى كليلة ودمنة ونحن نكتفى بهذا القدر من الايماء لئلا يخرج عن رسم كتابنا وعما بنينا عليه مذهبنا من الايجاز مع الشرح ولسنا نرى مع الايجاز والاختصار تطويل هذا الباب وتكريره عليك ليعلم ان القدماء انما الفوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا لما رأوه من النفع العظيم عند السامعين له من الاخبار ولما خافوه من الضرر الكثير على من يستهين به من الاعمام وليعلم ان المثل المضروب فى السباع القوية اذا دخل بينها الثعلب المحتال على ضعفه فاهلكها ودمر عليها فى الملوك الحصفاء يدخل بينهم اهل النميمة على صورة المتنصحين حتى يفسد وا نياتهم على وزرائهم المبالغين فى نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت ملكهم الى ان يتغيظوا عليهم ويصرفوا عيونهم عنهم ويدبروا من بعد محبتهم ايثارهم اياهم على ولا دهم الى ان يبادوا عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلاً وتعذيبا وهم غير مذنبين ولا مجرمين ولا مستحقين الا الكرامة والاحسان اذا بلغ من الاضرار والافساد ما بلغه من هؤلاء فكم بالحرى ان يبلغ منا اذا لم نحذره فى افساد ذاتنا الذين اختبرناهم على الايام واخترناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا ونزيدهم تفضيلاً واكراماً وتبيين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التى يتم بها سعادة الانسان من حيث هو مدنى بالطبع انما اختلفت وحصل فيها ضروب الفساد وزال عنها معنى التاحد وعرض لها الانتقال حتى احتجنا الى حفظها بالتعب الكثير بنظمها لاجل النقصانات الكثيرة التى فينا وحاجتنا الى تمامها مع الآفات التى يعرض لنا من الكون والفساد فان الفضائل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمباشرات التى لا يتم الوجود الانسانى الا بها وذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور الذى هو رذيلة عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الردية التى تجنى الجنايات العظيمة على النفس والبدن وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهايلة التى يجب ان يقدم الانسان عليها فى بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وصفناها وحصصناها على اقتنائها وايضاً فان جميع هذه الفضائل يحتاج الى اسباب خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعنى ان

يحتاج الى اسباب من الاموال والى اكتسابها من وجوهها ليمكنه ان يفعل بها افعال الاحرار والعادل يحتاج
الى مثل ذلك ليجازى من عامله بجميل ويكافى من احسن اليه باحسان فهذه الاشياء لا تتم الا بالابدان والاقنية وما
هو خارج عنها على حسب نصيبها من السعادة شيئا بعد شى وكلما كانت الحاجات اكثر والحاجة فيها الى المواد الخارجة
عنا اكثر فهذه حال السعادة الانسانية التى لا تتم الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية وبالاعوان الصالحين
والاصدقاء المخلصين وهى كما ترى كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة التى تختص
به ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذائل لانهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضائل
ويبطلان الانسان من الانسانية ولذلك ذممنا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال
والمغارات واختاروا التوحش الذى هو ضد التمدن لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التى
عددناها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت فاما جهة الحكمة والانصراف الى التصور العقلى واستعمال الاراء الالهية
فانه خاص بالجزء الالهى من الانسان وليس يعرض شى من الافات التى تعرض للحياة الخلقية ولا يلحقها ضرب
من الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل القسمة ولا نوعا من انواع الشرور لانها الخير الاول المحض واعنى بذلك الخير الاول
الذى لا يشوبه مادة ولا يلحقه الشرور التى فى المواد وما دام الانسان يستعمل الاخلاق والفضائل الانسانية فانها
يعوقه عن هذا الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الا بتلك فمن حصل تلك الفضائل فى
نفسه ثم اشتغل عنها بالفضائل الالهية فقد اشتغل بذاته حقا ونجا من مجاهدات الطبيعة والاهاد من
مجاهدات النفس قواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل من وجوده
الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الابدى والسرور الالهى السرمدى وقد اطلق ارسطاطاليس جميع
هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة الخالصة هى لله عز وجل ثم للملائكة والمتالهين قال ولا ينبغى ان
يضيف الى الملائكة تلك الفضائل التى عددناها فى سعادات الانسان فانهم لا يتعاملون ولا يكون عند احد منهم
وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفزعون من شى فيحتاج الى النجدة ولا لهم نفقات فيحتاج
الى الذهب والفضة ولا لهم شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هم مركبون من الاسطقسات

الا المتقنات الاربعة التي تخلو من اضدادها تحتاج الى الغذاء فاين هؤلاء الابرار المطهرون من خلق الله عز وجل
غير محتاجين الى الفضائل الانسية والله تقدس تعالى اجل واعلى من ملائكته فيجب ان ينزهه عن جميع
ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وينسب اليه الامور العقلية التي تليق
به فاما الحق الواجب الذي لا مرية فيه لا يحبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة
فلذلك يتقرب اليه بما يجده ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل افعاله بنحو استطاعته ومن احب الله تعالى
هذه المحبة وتقرب اليه هذه التقرب واطاعه هذه الطاعة احبه الله وقربه وارضاه واستحق خلته التي اطلقها الشريعة
في البشر حتى قيل ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليهما وسلم فاما ارسطاطاليس فانه اطلق بعد
ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه قال من احبه الله تعالى تعاهده كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم
بعضا واحسن اليهم ولذلك تظن بالحكيم وصاحب الفرح الغريبة ونزه من تحقق بالحكمة انها لذة غاية لا ثاني
ولا يلتفت الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام السعادة والحكيم
هو الله عز وجل وليس يحب الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه انما يسر بشبيهه فقط ولذلك صارت هذه السعادة
ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها فهي غير منسوبة الى الانسان لانها مميزة من الحقوق الطبيعية مبرأة
من القوى النفسانية مباينة لجميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية يهبها لمن اصطفاه من عباده ثم لمن
التمسها منه وسعى لها سعيها ورغب فيها ولزمها مدة حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من يصبر على ادامة التعب اشتاق
الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات
البدنية من كان طبيعي الشكل يحب اللذات كالعبيد والصبيان والبهائم وليس احد ينسب الحيوان غير الناطق ولا
الصبيان والعبيد الى السعادة الا من كان مناسبا لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمته اعلى المراتب وارسطو
يقول ليس ينبغي ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وان كان ذا بدن ميتا
بل يقصد بجميع قواه ان يحيى حياة الالهية فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل و
العقل فوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان
ما دام في هذا العالم محتاج الى حسن الحال الخارجة منه ولكن لا ينبغي ان ينصرف الى الحال تلك بقوته كلها ولا

ليطلب الاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال ولا ظاهر اليسار فان الفقير من المال والاملاك قد يفعل الافعال الكريمة ولذلك قال الحكماء ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي تقتضيها الفضيلة وكانت قبلهم قليلة فهذا كلام الحكيم في هذه المرتبة التي وصلنا الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك ليس في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها واستعمالها ومن الناس من ينهض الى الفضائل وينقاد للموعظة ويرغب في الخير وهؤلاء قليلون وهم الذين يمتنعون من جميع الرذائل والشرور وذلك للغريزة الجيدة والطبع الفائق ومنهم من يقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذائل والشرور والفزع والوعيد والانذارات من العذاب فيتهرب من الجحيم والهاوية وما اعد فيها من الآلام ولذلك حكمنا ان بعض الناس اخيار بالطبع وبعضهم اخيار بالشرع وبالتعليم فالشريعة تجري لهم مجرى الماء للغصان الذي يسيغ به غصته فمن لا ينقاد لها فهو كالشرق بالماء لا يوجد له ما يسيغ به غصته وهو الهالك الذي لا حيلة فيه ولا طمع في اصلاحه وبرئه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك لمحبة الله تعالى اياه وليس امره الينا ولا نحن كنا سببه بل الله عز وجل ومثل هذا هو الذي يقول ارسطو ان عناية الله به اكثر وتفصيل ما قدمنا ان اصناف السعداء من الناس اربعة وهم موجودون بالتصفح والحس وذلك انا نجد من الناس من هو خير فاضل من مبدأ كونه نرى فيه النجابة طفلا ونتفرس فيه الفلاحة ناشيا بان يكون حييا كريم الخيم يؤثر مجالسة الاخيار ومؤانسة الفضلاء وينفر من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية يلحقه من اول مولده كما قلنا ونجد ايضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدأ كونه بل يكون كسائر الصبيان الا انه يسعى ويجتهد في طلب الحق اذا راى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير علمه صحيحا وعمله صوابا وليس يبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف واطراح الشبهات وسائر ما حذرنا منه ونجد ايضا من يؤخذ بهذه السيرة اخذا على اكراه اما بالتاديب الشرعي واما بالتعليم الحكمي ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت الاقسام الباقية هي من خارج ولا يمكن ان يطلب اعني ان من يتفق له في اصل مولده السعادة ومن يكره عليها ليس من اقسام الطالب المجتهد وتبين ايضا مقام المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات هو السعيد الكامل المتقرب الى الله عز وجل العبد المطيع المستحق خلته ومحبته كما تقدم وصفه تمت المقالة

المقالة الخامسة نذكر في هذه المقالة بعون الله وتأييده شفاء الامراض التي تلحق نفس الانسان
وعلاماتها ونذكر الاسباب والعلل التي تولدها وتحدث منها فان الحذاق لا يقدمون على علاج مرض جسماني الا
بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرومون معاملته باضداده من العلاجات ويبتدئون من الحمية
والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا في بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها
الى القطع بالحديد والكي بالنار ولما كانت النفس قوية الهيئة غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة المزاج
خاص مربوطة به ربطا طبيعيا الهيا لا يعارف احديهما صاحبه الا بمشية الله الخالق جل وعلى وجب ان نعلم
ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا ظاهرا
لنا من افعالهما وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعني
الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض نفسه حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة وحسن
هو ايضا من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه

اما بالغضب فثائرا واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهائجة به يتغير صورته وبدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر
ويحمر ويهزل ويسمن ويلحقها ضروب التغاير المشاهدة بالحس فيجب لذلك ان نعتقد مبدا امراض نفوسنا فان كان مبداها
من ذاتها كالفكر في الاشياء الردية واجالة الراى فيها وكاستشعار الحزن والخوف من الامور العارضة او المترقبة او
الشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبداها من المزاج او من الحواس كالحزن الذى مبدؤه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذى مبدؤه البطر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجها
بما يخص هذه ولما كان طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى قسمين احدها حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والاخر
ردها اليها اذا كانت غائبة وجب ان يقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم في حفظ صحتها اذا كانت
حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب الفضائل بل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية
والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم
ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والمجاهرين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش
والمفتخرين بها المنهمكين فيها ولا يصغى الى اخبارهم مستطيبا ولا يروى اشعارهم مستحسنا ولا يحضر مجالسهم مستبهجا وذلك ان
حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم يعلق من وضره ودرنه بالنفس
ما لا يغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سببا لفساد الفاضل المحنك وغواية العالم
المستبصر حتى يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشى والمتعلم المسترشد والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية
والراحات الجسمية طبيعية للانسان لاجل النقصانات التى فيه فنحن بالجبلة الاولى والفطرة السابقة نميل
اليها ونحرص عليها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على
المقدار الضرورى منها وانما استثنيت في اول الكلام ما استثنيت وشرطت ما شرطت لان
... معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم
وبهم لا يلتئم الا بالمؤانسة والمداخلة ولا بد في ذلك من المزاح المستعذب والحديث المستطاب
والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التى يطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها
ولا نقصر عنها تهاونا وتابيا وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمى مجونا وفسقا وخلاعة

خلاعة وما اشبهها من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمى فدامة وعيّا وشكاسة وما اشبهها من اسماء
الذم ايضا والمتوسط بينهما هو الظريف الذى يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة فى حفظ
هذا الوسط ما عرض فى سائر الفضائل الخلقية وفيما بين جدنا من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء
النظرى والجزء العملى لا يسوغ له الاخلال بها البتة ليجرى للنفس مجرى الرياضة التى يلتزم فى حفظ البدن لها
الاطباء يعظمون امر الرياضة فى حفظ صحة البدن وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص
على المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت الروية واختارت العطلة
قرب هلاكها لان فى عطلتها هذه انسلاخا من صورتها الخاصة بها ورجوعها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه واذا تعود الحدث الناشى من مبدأ كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم
التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونبا قلبه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ
اشده انتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها واشرب فاستوعب منها ولم يصعب عليه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب فى
فهم غوامضها واستخراج دفائنها ووصل الى سعادته التى ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد توسع
فى العلم وبرع فلا يحملنه العجب بما عنده من ترك الازدياد فان العلم لا نهاية له وفوق كل ذى علم عليم ولا يتكاسلن
فى معاودة ما علمه واتقنه على سبيل الدرس له فان النسيان آفة العلم وليتذكر قول الحسن البصرى داووا هذه
النفوس فانها طلعة وحادثوها فانها سريعة الدثور واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة المعانى وهى مع ذلك فصيحة
قد استوفت شرائط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحافظ عليها نعمة شريفة موهوبة
له وكنوزا عظيمة مذخورة فيها وملابس فاخرة مفرغة عليها وان كانت من كانت هذه المواهب سابلة مجموعة له
فى ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا الى بذل الاموال فيها ولا تكلف العناء والمؤن الثقال فى تحصيلها
ثم اعرض عنها واهمل امرها حتى انسلخ عنها وعرى منها الملوم فى فعله مغبون فى رأيه غير رشيد ولا موفق ولا سيما و
هو يرى طالبى النعم الخارجة كيف يقتحمون الاسفار البعيدة الخطيرة ويقطعون السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون
لضروب المكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يثبتون فى تلك
الاحوال مع مقاساة هذه الاهوال وربما عرضت لهم الندامات المفرطة والحسرات المقطعة ...

يقطع انفاسهم وتفصل اعضاءهم فان ظفر بالشيء من مطالبهم كان لا محالة زايلا عن قريب ومعرضا للزوال وغير مطموع
في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع عما يطرق من الحوادث التي لا يحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال
شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب الجسم والنفس بحفظ ما لا يجد الى حفظه سبيلا وبالحذر على ما لا يغني فيه الحذر قليلا
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان تضاعفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة
بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد ومن القريب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن وفي استصلاح من
يليه ويلي من يليه ومداراة من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك ملوم ومستبطأ ومعيب مستقصر يستزيده جميع اهله والمتصلين
به ولا سبيل له الى رضا واحد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن اخص الناس من اولاده وحرمه ومن يجري مجراهم
من حاشيته وحوله ما يملأ غيظا وحنقا فهو غير آمن على نفسه من تحويلهم مع التحاسد الذي بينهم من مكاتبة الاعداء
اياهم ومواطاة الحساد لهم وجلبوا له من المكاره ما لم يكن عنده فهو غني عند الناس وهو اشدهم فقرا ومحسود وهو اكثرهم حسدا
وكيف لا يكون فقيرا وحد الفقير هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة
ولذلك حكمنا حكما صادقا ان الله تعالى جده اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شيء من الاشياء وحكمنا
ايضا ان اعظم الملوك ملكا اشد الناس فقرا لكثرة حاجته الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر حيث قال في خطبته
اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ثم وصفهم فقال ان الملك اذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما
في يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه
لذة البهاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون فهذه صفة
الملك اذا تمكن من ملكه لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم
يستعيد الموافقة ما في قلبه وصدقه عن حاله وصورته ولعل من يرى ظاهر الملوك من الاسرة والفرش والزينة والآلات
ويشاهدهم في مواكبهم محفوفين محدقين بين ايديهم الجنائب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب والحشم وغير ذلك
فيظن انهم مسرورون بما يراه لهم لا والذي خلقهم وكفانا امرهم انهم لفي هذه الاحوال ذاهلون عما يراه البعيد لهم مشغولون
بالافكار التي يعتورهم ويعتريهم فيما حكيناه من ضروراتهم وقد جربنا ذلك في اليسير مما ملكنا فدلنا على

على الكثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك والسلطان يلتذ في مبدإ امره مدة يسيرة جدا بمقدار ما يتمكن منه
ونفخ عينيه ولكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشيء الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر فيه ويمد عينيه الى ما لا يملكه فان ملك
الدنيا بحذافيرها تمنى دنيا اخرى او رقت همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى يتبرم بجميع ما وصل اليه
وبلغته قدرته وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا لما في طبيعتها من الاضمحلال والتلاشي ولما يضطر الملك
اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجمة المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المتوقفين والكنوز المعدة للآفات
والاحداث التي لا تؤمن طوارقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا فاما النعم التي هي في ذواتنا فانها موجودة
عندنا وفينا وغير مفارقة لنا لانها موهبة الخالق عز وجل فقد امرنا باستثمارها والترقي فيها فاذا اقبلنا امرا
اثمرت لنا نعما بعد نعم ورقتنا في درجة فوق درجة حتى يؤدينا الى النعيم الابدي الذي وصفناه فيما تقدم
وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول فمن احسن ضعفه واظهر سقطه
ممن اضاع جواهر نفسه باقية هي عنده وموجودة له وطلب اعراضا خسيسة فانية ليس عنده ولا موجودة
له فان اتفق ان يجدها لم يثق له ولم يترك عليه وذلك انها ينفصل عنه او ينفصل عنها لا محالة فلذلك
قلنا ينبغي لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشتغل بفضول العيش فانها بلا نهاية
ومن طلبها اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد علمنا فيما تقدم ما الكفاية والقصد وان الغرض الصحيح
منها هو مداواة الالام والتحرز من الوقوع فيها لا التمتع وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش
اللذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته فانه سيلتذ لا محالة فان
طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية واحتاج الى السعي لاضطرار
في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد وقدر حاجته منها الى ما يضطر معه الى السعي الخبيث والحرص
الشديد والتعرض لقبائح المكاسب وضروب المهالك والمعاطب بل يجمل في طلبها اجمال العارف بخساستها فانه
يضطر اليها لنقصانه فيطلب منها ما يطلب سائر الحيوان من ضروراتها فان العاقل اذا تصفح احوالها وجد منها ما يأكل
الميتة ومنها ما يأكل الروث والخثى وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بها وليست تحس من نفوسها
نقصا ولا تقززا ولا تنصرف نفوسها عنها كما تنقبض نفوس الحيوانات المضادة لها بل انما ينقبض عن اقوات تلك الاخر التي

بضادها في النظافة ومثال ذلك الجعل والخنافس اذا قيست الى النحل فان تلك يهرب من الروائح الطيبة والاقوات
اللطيفة وهذه تطلبها وتسر بها فاذن نسبة كل حيوان الى قوته الخاص به كنسبة الحيوان الآخر الى قوته الخاص وكل مقتنع
بما يحفظ بقاءه وحيوته طالب له مسرور به فينبغي ان ينظر الى القوتين بهذه العين وننزلهما منزلة الحشى الذي يضطر الى ملابستها
لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه فلا نبعدها من الاخرى لانهما ضروريان لنا فنحن لا نبغيهما لاجل الضرورة ولا نشغل
عقولنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التأنق لهما والتوصل اليهما ولا التكاسل ايضا عن عدادهما عند مسّ حاجتنا منهما
وانما يفضل احدهما على الآخر ويستحب السعي في طلب المدخل ولا يستحسن السعي في طلب المخرج لان الاول منهما هو غذاء [illegible]
لنا يخلف علينا ما تحلل من ابداننا وكما لا نستوحش ولا ننفر من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا ننفر مما يصنعه
ما ينقص منه وينوب عنه واما الثاني منهما فعصارة ذلك الغذاء وما نفته الطبيعة وانجذب حاجتها منه اعني الذي
احالته دماء صافيا وفرقته في العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذي لا حاجة بها اليه وهي في غاية المخالفة والبعد
امرجتنا فنحن نستوحش منه وننفر عنه لاجل الضدية والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه وتنحيته وتقصيره عنا
بالآلات الموهوبة لنا المستعملة في ذلك لنفرغ مكانه لما يأتي بعده ويجري مجراه وينبغي ان نحافظ الصحة على ان لا نهيج
قوتنا الشهوية ولا قوتنا الغضبية بتذكر ما اصاب منهما فوجد لذة بهما بل نتركهما حتى يتحركا لانفسهما واعني بهذا
ان الانسان ربما يذكر لذاته من اصابة الشهوات او مرامه من كرامة السلطان وعزها فاشتاق اليها واذا اشتاق
اليها حرك نحوها واذا تحرك نحوها فقد جعلها غرضا له فيضطر الى استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه
ليدبر الوصول اليه وهذه صورة من يريد ان يهيج سباعا ضارية ثم يلتمس معالجتها والخلاص منها وليس
يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من افعال المجانين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطا فلذلك
يجب ان لا نتذكر اعمال هاتين القوتين لئلا نشتاق اليها ونحرك نحوها بل نتركهما فانهما ستنبعثان لانفسهما وتهيجان عند
حاجتهما بالتماس ما يحتاج البدن اليه ونجد من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعثهما بالفكر والتمييز ويكون حينئذ فكر
وتميز لك في ازاحة عللهما وتقدير ما يطلقه لهما في الامر الصحي على الوجه الذي يحافظ صحتنا وهذا هو مضاهاة مشيئة الله
وانما سميناه مشيئة الله تعالى وتقدس لانه وهب هاتين القوتين لنا لنستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا لنخدمهما ونتعبد لهما فكل
من استخدم النفس الناطقة في خدمة عبدها فقد جعل امر الله وتعالى حد [illegible] وعكس سننها وتقديرها ولا عدل اشرف

اشرف وافضل من شيئا وتقديرا فكل من خالف وعدل عنه فهو اعظم جائر على اثره واعظم ظالم لنفسه وينبغي ليحافظ
الصحة على نفسه ان يطلق نظره في كل ما يفعل ويدبر ويستعمل فيه الات بدنه ونفسه لئلا يجري فيها على عادة تقدمت
له مخالفة لما يوجبه تمييزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبدر منه فعل مخالف لما قدم فيه عزيمته وعقد عليه رايه
عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر من نفسه مبادرة الى
طعام ضار او ترك حمية قد كان استشعرها او تناول فاكهة غير موافقة او حلوا كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه
الا على الطف ما يقدر عليه ويقلله وان امكنه الطي فليطو ويزيد في الحمية من غير خارجة اليها وليكن في توبيخه لنفسه
ان يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا من البهائم احسن حالا
منك لانه ليس فيها ما يقصد لذة لها ثم يتناول ما يولمها فاستمسكي الان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة
الى غضب في غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبذاء
ثم ليحتمله او ليبذل ذلك لمن يعرفه بالخيانة فمن كان لا يتواضع له قبل ذلك او ليفرض على نفسه مالا يخرجه صدقة
وليجعل ذلك نذرا عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه بسعي فيه مشقة او صلاة
فيها طول او ببعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فليرسم على نفسه رسوما تصير عليها فرائض وحدودا لا
تخل بها ولا تترخص فيها واذا انكر من نفسه مخالفة لعقله وتجاوزا للرسوم فليحذر في جميع اوقاته ملابسة رذيلة او عادة
ردية او مخالفة صواب ولا يستحقرن شيئا تابعا من صغائر السيئات ولا يطلبن رخصة فيها فان ذلك يدعو الى
ما هو اعظم منها وان تعود في مبدا نشوه وحداثة شبابه ضبط النفس عن شهواتها والحلم عند ثوران غضبه وحفظ اللسان
وكتمان السر فانه يخف عليه ما يثقل على غيره ممن لا يتادب بهذه الآداب بيان ذلك انا نجد العبيد واشباههم اذا بلوهم
الى السفهاء عليهم ويشتمون اعراضهم هان عليهم الخطب فيما يشتمونه حتى لا يؤثر فيهم وربما ضحكوا عند سماع مكروه شديد
ضحكا غير متكلف ويعملون عند ذلك اعمالهم وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضوبين غير
محتملين ولا ممسكين عن الاجوبة والانتقام بالكلام وطلب التشفي بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضائل و
تجنبنا الرذائل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه
بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد والتحصن قبل هجوم العدو عليهم في حالة من زمانهم

ولو تشاغل من نظرائهم ولو اغفلوا ذلك الى ان تخرجهم المكاره وتطرقهم الشدائد لاذهلوا الامر عن الحيلة وعن الرأي السديد
فعلى هذا الاصل يجب ان نبني الامر في الاستعداد لاعدائنا من الشرة والغضب وسائر ما يرد علينا من اعراضنا بان نعود الصبر على ما يجب
الصبر عليه والحلم عمن ينبغي ان نحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الردية ولا ننتظر بدفع هذه الرذائل وقت هيجانها فان الامر
عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد ولا يقنع
بما قاله جالينوس في ذلك فانه ذكر في كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه انه لما كان كل انسان يحب نفسه خفيت عليه
معايبه ولم يرها وان كانت ظاهرة واشار في كتابه هذا بان يختار من يجب ان يبرأ من العيوب صديقا كاملا فاضلا
فيخبره بعد طول المؤانسة انه انما يعرف صدق مودته اذا صدقه عن عيوبه حتى يتجنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يرضى منه اذا قال
له لا اعرف لك عيبا بل يعتب عليه وينكر ما يقوله ويعلمه انه قد اتهمه بالخيانة ويعاود مسئلته والالحاح عليه فان لم يخبره
بشيء من عيوبه فليظهر مزجرة رقيقة وعتبا صريحا ويزيد في الرغبة اليه فان من يخبره بشيء من عيوبه زاده قليلا فاذا اخبره ببعض ما يعثر عليه
منه فلا يظهر له في وجهه او كلامه كراهية ولا انقباضا بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما اخبر اليه وينبه عليه بشكره على
الايام وفي اوقات المؤانسة يتطرق له الى هذا ميله اليه ثم ليعالج ذلك العيب بما يزيل اثره ويمحو طله ليعلم ذلك المهدي اليك عيبك
انك مريد اصلاح نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا ينقبض عن معاونتك ونصيحتك وهذا الذي اشار به
جالينوس معنى يعسر وجوده ولا مطموع فيه ولعل العدو في هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا يحتشمنا في اظهار عيوبنا
بل يتجاوزها لما يعرف منها الى التخرص والتكذيب فيها فننتبه على كثير من عيوبنا من جهتهم ولجالينوس ايضا مقالة يخبر فيها ان
اخيار الناس ينتفعون باعدائهم وهذا صحيح لا يخالف فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اختاره ابو يوسف يعقوب
بن اسحق في ذلك فهو ما احكيه بالفاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآة
له تريه صورة كل واحد منهم عند ما يعرض من الآلام التي يثيرها السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وذلك انه يكون
متفقدا لسيئات الناس فمتى رأى سيئة ما ذمها من احد ثم نفسه عليها كانه هو فعلها واكثر عتبه على نفسه من اجلها ويعرض على نفسه في آخر
كل يوم وليلة جميع افعاله حتى لا يشذ عنه منها شيء فانه قبيح بنا ان نجتهد في حفظ ما اقتنيناه من الحجارة الدنية والارذال الفاسدة
الغريبة منا التي لا ينفعنا عدمها البتة في كل يوم ولا نحفظ ما ينفق من ذواتنا التي بتوفرها بقاؤنا وبنقصانها
فناؤنا فاذا وقفنا على سيئة من افعالنا اشتد عذلنا لانفسنا عليها ثم نقيم عليها حدا نفرضه ولا نضيعه واذا نسينا افعالنا

افعال غيرنا وجدنا فيها سيئة عايبناها ايضا ونعيبنا عليها فان النفس تنزع حينئذ عن المساوى وتالف المساوى
سيئاتنا لا ينساها ما لا يأتى عليها زمان طويل فضلا عن ذكرها فلذلك ينبغى ان نعمل فى الحسنات لتمسح آثارها ولا
يفوتنا شئ منها قال وينبغى ان لا يقنع من ان نصير اشباه الدفاتر والكتب التى تفيد غيرها معانى الحكمة وهى عادمة
اقتنائها كالمسان التى تشحذ ولا تقطع بل نكون كالشمس المفيدة القمر كلما اشرقت عليه انارة من غير نقص نورها
فيفضل انما ملكنا ما شبهها وان قصر عن نورها فهكذا ينبغى ان يكون حالتنا اذا فدنا غيرنا الفضائل هذا الذى
ذكره الكندى فى ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه القول فى رد الحزن على النفس ان لم يكن ما ضمنه وهو القول
فى علاج امراضها ابتدئ بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم بمداواة الاعظم منها كالمحاباة والاكثر فالاكثر
منها حنانة فنقول اما اجناسها العالية فهى مقابلات الفضائل الاربع التى احصيناها فى مبدا الكتاب ولما كانت
الفضائل اوساطا محدودة ولعينا نا موجودة امكن ان نطلب بقصد وننتهى اليها بالفكر والسعى والاجتهاد ورذائلها
النقط التى ليست باوساطها فانها غير محدودة ولا لها اعيان موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات ومثال
ذلك ان الدائرة لها مركز واحد وهى نقطة واحدة لها وجود فى ذاتها يقصد ويشار اليها وان لم نجدها حسا
ولم يمكنا الاشارة امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانها هو المركز دون غيرها من النقط واما التى ليست
بمركز فهى بلا نهاية ولا وجود لها بالذات وانما توجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين ثابتة فلذلك لا تقصد
ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شائعة فى جميع بسيط الدائرة فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين
فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعد بينهما غاية البعد ومثال ذلك انا اذا اخرجنا
من مركز الدائرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما المركز والاخر نهايته والبعد بينهما غاية
البعد ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما محدودان والبعد بينهما غاية البعد فاما
الاوساط التى بينهما فهى بلا نهاية وكذلك الالوان هى بلا نهاية واما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد
لم يسم ضدا لان لكل ضد ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد واحد والسبب فى ذلك
ان البعد بينهما غاية البعد وقد نجد الفضيلة الواحدة اكثر من طرف واحد وذلك اذا تصورنا الفضيلة مركزا
واخرجنا منه خطا مستقيما الى المحيط كانت له نهاية امكننا ان نخرج من جانب المقابل له خطا اخر على استقامته فتصير

له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين للمركز الذي فرضناه فضيلة الا ان احدهما يجري لها مجرى الافراط والغلو
والاخرى يجري مجرى التفريط والتقصير واذ قد فهم ذلك فليعلم ان لكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما
واوساطا بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان الوسط الحقيقي هو واحد وهو الذي سميناه فضيلة
ثم ليعلم انا بحسب هذا البيان نجعل الرذائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التي تقدم شرحها وهي هذه التهور
والجبن طرفان للوسط الذي هو الشجاعة والشره والخمود طرفان للوسط الذي هو العفة والبله والدهاء طرفان للوسط
الذي هو الحكمة والجور والمهانة اعني الظلم والانظلام طرفان للوسط الذي هو العدالة وهذه اجناس للامراض
العالية التي تقابل الفضائل التي هي صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها ونبتدئ بذكر التهور والجبن
اللذين هما طرفا الشجاعة وهي فضيلة النفس وصحتها فنقول ان سببها ومبداها النفس الغضبية ولذلك صارت
البلية باسرها من علائق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة الانتقام
فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها واحتد غليان دم القلب وامتلأ الشرائين والدماغ
دخانا مظلما مضطربا تسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكمه الحكماء
مثل كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاختنق فيه اللهب والدخان وعلا الاجيج والصوت المسمى وحي النار فصعب علاجه
وتعذر اطفاؤه ويصير كلما ادنيته منه للاطفاء سببا لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة
بل يصير المواعظ كلها في تلك الحال سببا للزيادة في الغضب ومادة للهيب والتاجج وليس يرجى له في تلك الحال
حيلة وانما يتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج فمن كان المزاج حارا يابسا كان قريب الحال من حال الكبريت الذي
اذا ادنيت منها الشرارة الضعيفة التهب وان كان بالضد صارت حاله بالضد وهذا في مبدا امره وخفوق
حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه وتصور ذلك من الحطب اليابس والرطب ومثل مبدأ
اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط ثم بعده منها الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهي الى الاحتكاك
فان الاحتكاك وان كان ضعيفا في توكيد النار فربما قوي حتى يلتهب منه الاشجار العظيمة والغيضة الاشبة الملتفة وكذلك
مثال السحاب الذي هو من البخارين كيف يحتك حتى ينقدح بينهما النيران وينزل منها الصواعق التي لا تثبت لنارها شيء من
المواد ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصيره رمادا وان كان جبلا املس وحجرا اصم واما سقراطيس فانه قال في السفينة اذا

اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذفت بها الى اللجج التى فيها الجبال ارجى من الغضبان الملتهب
وذلك ان السفينة فى تلك الحال تلطف لها الملاحون ويخلصونها بضروب الحيل فاما النفس اذا استشاطت غضبا
فليس يرجى لها حيلة البتة وذلك ان كل ما رمى به الغضب من النصح والموعظة والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب
يوهجه ويزيده اسعارا فاما اسبابه المؤكدة فهى العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم
وطلب الامور التى فيها عزة ويتنافس الناس فيها ويتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لهذه الاسباب باجمعها وينتهى اليه من
لو لحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا او آجلا وتغير المزاج وتعجيل الالم وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما
ادى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف ثم مقت الاصدقاء
وشماتة الاعداء واستهزاء الحساد والاراذل ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا انقطعت عنا
بحسم هذه الاسباب وعلى ما حطنا فقد امنا سورة الغضب وقطعنا مادته وامنا غائلته فان عرض لنا منه عارض
كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه وحدثت فضيلة اعنى الشجاعة فيكون حينئذ اقدامنا على ما نقدم عليه كما
يجب وبحيث يجب وبالمقدار الذى يجب وعلى من يجب اما العجب فحقيقته اذا حددناه انه ظن كاذب بالنفس فى استحقاق
مرتبة هى غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب والنقصانات التى تحيق بها وان الفضل
مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا بفضائل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا يعجب بنفسه
وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه و
كيف يملك ما هو معرض للآفات والزوال فى كل ساعة وكل لحظة ولسنا على ثقة منه فى شىء من الاوقات
واصح الامثال واصدقها فيه ما قال الله عز وجل حيث قال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل
شىء مقتدرا وفى القرآن من هذه الامثال شىء كثير وكذلك الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
واما الفخر بالنسب فاكثر ما يدعيه اذا كان مستحقا ان اباه كان فاضلا فلو حضر ذلك الفاضل وقال ان الفضل الذى تدعيه
انا مستبد به دونك فما الذى عندك منه مما ليس عند غيرك لافحم واسكت وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله

في هذا المعنى اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لا تاتوني بانسابكم وائتوني باعمالكم وحكي انه كان لبعض
الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت علي بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لا لك وان افتخرت
بثيابك وآلاتك فالحسن لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت المحاسن والفضائل خارجة
عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اصحابها لم تخرج عنه فبم تفتخر عليهم فانت من وحكي عن بعض الفلاسفة
انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يجتهد في الزينة ويفتخر بكثرة ماله واثاثه وحضرت الفيلسوف بزقة فتنخع لها
والتفت في البيت يمينا وشمالا ثم بزق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني نظرت الى البيت
وجميع ما فيه فلم اجد هنا اقبح منه فبزقت وهكذا السفيه من كان ليس له من فضيلة الا نفسه يفتخر بالخارجيات عنه واما اللداد
واللجاج فقد ذكرنا قبح صورتهما في المقالة التي قبل هذه وما يولدانه من الشتات والفرقة والتباغض بين الاخوان والاصدقاء
المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين
عليه السلام كثير المزاح حتى عابه بعض الناس به فقال لولا دعابة فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه عسير والكثير
نبتدي به ولا يدري اين يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سببا للوحشة فيثير غضبا كامنا
ويزرع حقدا باقيا فلذلك عد من آفات الاسباب فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ويذكر قول القائل رب جد جره اللعب ولبعض الحكماء
اوله مزاح ثم تهييج فتنة لا يهتدى بعلاجها واما التيه فهو قريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بها
والتائه يتيه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج المعجب بنفسه وذلك بان يعرف ان ما يتيه به لا مقدار له عند العقلاء
وانهم انما لا يعتدون به لخسة قدره وزيادة حظه من السعادة ولانه متغير زائل غير موثوق ببقائه واما الاستهزاء فانما
يستعمله المجان من الناس والمساخرة ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احتمال مثل ذلك واضعافه فهو ضحاك
قرير العين بضروب الاستخفافات التي تلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت المذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يبتذل به
الكثير مما يماطل به من تعيشات غيره وينال اليسير من نزر والخير الفاضل بعيد من هذا المقام بل يكرم نفسه وعرضه عن تعريضهما للسفهاء ولا يبيعهما
بجميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير التافه واما الغدر فوجوهه كثيرة اعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودة وهو على
كثرة وجوهه مذموم بكل لسان مستقبح عند كل احد ينفر السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظه من الانسانية
وليس يوجد الا في جنس من اجناس العبيد يتواقح الناس ويانف منهم سائر اجناس العبيد وذلك ان الوفاء الذي هو ضده

موجود في بعض الروم والحبشة والنوبة وقد شاهدنا من هو من رؤسائهم كثير العصبية لم نشاهد له كثيرا من الديلم من الاكراد
ومن عرف قبح العذل باسمه ونفور العقلاء منه ثم عرف معناه فليس يستعمله خاصة من الطبيعة جيدا او قرأ ما تقدم
في هذا الكتاب وتخلق به وانتهى في قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احتمال الذل والغضب انما يعرض
منه وشهوة للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما فينبغي ان لا نتسرع الى الانتقام
عند عرض الضيم حتى ننظر فيه ونتحقق ان لا يعود علينا الانتقام بضرر اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر شأنه
مع استشارة العقل هو الحلم بعينه فاما الطلب للامور التي فيها عزة ويتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك والعظماء
فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزائنه علق كريم نفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند
فقده ولا بد من حلول الافات به لما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد من تسلط الامور واحالتها
وادخال الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاذا فقد الملك ذخيرة عزيزة الوجود ظهر عليه ما يظهر على المفجوع المصاب ما يتبين عليه
يتبين فقده الى نظيره الذي لا يجده فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وحكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قدح
بلور صافية عجيبة النقاء محكمة الخرط قد استخرج منها اساطين وصور وخاطر بها صانعها مرة بعد اخرى في التحصيل لتلك النقوش و
الحروف والتجاويف التي بين الصور والاوراق فلما حصلت بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بها فرفعت في خاص خزائنه ثم
بات عليها كثير زمان حتى اصابها ما يصيب امثالها من المتالف وبلغ ذلك الملك فظهر من الاسف والجزع ما شغله عن التصرف
في امره والنظر في مهماته والجلوس لجنده وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه به فتعذر عليهم فظهر ايضا من جزعه
وامتناع مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحسرته فاما اوساط الناس في ادخار الآلة الكريمة وجوهر نفيس او اتخذوا
مركوبا فارها وما اشبه هذه الاشياء التمسها منه من لا يمكن رده عنها فان ضن بها وبخل عليه بها فقد عرض نفسه
للبوار وان سمح بها لحقه من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار المتنافس فيها من اليواقيت واشباهها مع ما يتفق
عليه الافات في انفسها فليس تبعد عنها الافات الخارجة منها من السرق وضروب الحيل فيها واذا ادخرها الملك فلا ينتفع بها
عند حاجته اليها او بما عدم الانتفاع بها دفعة وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينفعه في عاجل امره وحاضر حاجته وقد
شاهدنا اعظم الملوك خطرا في عصرنا لما احتاج اليها بعد فناء امواله ونفاد ما في خزائنه وقلائده لم يجد لها ولا قريبا من ثمنها
احكام تحصيل اثمانها الا على الفضيحة في حاجته الى عرضها في بعض قيمتها وهو لا يقدر على قليل او كثير من اثمانها في مدة

مبتذلة في ايدي الدلالين والتجار والتي يتجلى منها ولا يقدرون عليها من قدر منهم على ثمن شيء منها لم يتجاسر على حمله خوفا
من تشبيه بعد ذلك وظهوره امره فينتزع منهم فهذه حال هذه الذخائر عند الملوك فاما التجار الموسومون بهذه التجارة فيمر
لهم زمان صالح ويكسبون من الاثمان ومن الربح وحينئذ يكون بضاعتهم شبيه بالكاسدة لانها لا تنفق الا على الملوك
الواحد عين الذين لا يحضرهم شيء من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض وفضلت اموالهم عن الخزائن والقلاع فحينئذ يغتر
بالزمان فيقعون في مثل هذه الخدايع ثم يؤول عاقبتهم الى ما حذرنا منه فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة
منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرف العدالة وتخلق بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذا المرض لانه لا يخرج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغي ان تسميه باسماء المديح واعني بذلك
ان قوما يسمون هذا النوع من الجور اعني الغضب في غير موضعه رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
التي هي بالحقيقة اسم مدح وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذي وصفناه يصدر عنه افعال ردية
كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهي الى عبيده وخدمه وحرمه فيكون عليهم سوط
عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا ابرياء من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبين شيئا بل يجرم عليهم
ويهيج من ادنى سبب يجد به طريقا اليهم حتى يبسط لسانه ويده عليهم وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن انفسهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا للشر وتسكينا لغضبه وهو في ذلك مستمر على طريقته لا يكف
يدا ولا لسانا وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس الى البهائم التي لا تعقل والى الاواني التي لا تحس فان صاحب هذه
الخلق الردي ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور فيتناولها بالضرب المكروه وربما عض القفل
اذا تعسر عليه وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لامره وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال
يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات واما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الرياح والهوا
اذا هبت بخلاف اهوائهم وعلى القلم اذا لم يجر على رضاهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا وكان بعض من تقدم عهده من
الملوك يغضب على البحر اذا تأخرت فيه سفينة لا تصل اليه وحركة امواجه حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمه بها وكان بعض
السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويهجوه بشعر له مشهور وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها قبيحة و
بعضها مع قبحه مضحك يهزأ بصاحبه وكيف يليق بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمذمة والفضيحة اولى

أولى منها بالمديح وأي حظ لها في العزة والشدة ونحن نجدها في النساء أكثر منها في الرجال وفي المرضى الضعفاء أكثر
منها في الأصحاء الأشداء ونجد الصبيان أسرع غضبا من الرجال والشيوخ أكثر ضجرا من الشبان ونجد رذيلة الغضب
مع رذيلة الشره فإن الشره إذا تعذر عليه ما يشتهيه غضب وضجر على من يعاطيه طعامه وشرابه من نسائه وخدمه وسائر
من يلابس أمره والبخيل إذا افتقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على أصدقائه ثم [illegible] وتوجهت تهمته إلى أهل الثقة من
خدمه ومواليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من أخلاقهم إلا على فقد الصديق وعدم النصيح وعلى الندم السريع واللوم
الوجيع وهذه خلال لا يلتذ معها بغبطة ولا سرور وصاحبها أبدا محزون كئيب منغص العيشة متبرم بأموره وفي حال الشقي
الرجيم فأما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يكرهه ولا يستفزه ما يرد عليه من الحركات
لغضبه حتى يروي وينظر كيف ينتقم وممن وعلى أي قدر أو كيف يصفح ويغضي وعمن وفي أي شيء وقد حكي عن الاسكندر الملك أنه
رقي إليه عن بعض أصحابه أنه يعيبه وينتقصه وقال له بعض نصحائه لو أدبته أيها الملك بعقوبة تنكله فقال كيف
تكون أنبأ كبعد عقوبتي له في ثلبي وطلب معايبي لأنه حينئذ أبسط لسانا وأعذر عند الناس وأتي يوما ببعض أعدائه
من المتغلبين الخارجين عليه وكان قد عاث في أطرافه عيثا كثيرا فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت أنا أنت
لقتلته فقال الاسكندر فإذا لم أكن أنا أنت فلست تقتله وقد ذكرنا معظم أسباب الغضب ودللنا على معالجتها وحسمها
وهو النوع الأعظم من أمراض النفس وإذا تقدم الإنسان في حسم سببه لم تحس بليته منه وكان ما يعرض منه سهل العلاج
قريب الزوال لا مادة له تطيله ولا سبب يشده ويوقده ويجد روية موضعها لإجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم
واستعمال المكافأة إن كان صوابا أو التغافل إن كان حزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من أمراض النفس معالجة
الجبن الذي هو الطرف الآخر من ضده ولما كانت الأضداد تعرف بعضها من بعض كنا قد عرفنا الطرف الذي هو
حركة للنفس عنيفة قوية تحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا إذن مقابله أعني الطرف الآخر الذي هو
سكون للنفس عندما يجب أن يتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور ويتبعه مهانة النفس وسوء
العيش وطمع الأنذال وغيرهم من الأهل والولد وسائر المعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات
وهو أيضا سبب الكسل وحب الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن لواحقه الاستخذاء لكل أحد والرضا بكل دنية وضيم
والدخول تحت كل فضيحة في النفس والولد والأهل وسماع كل قبيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من

كل ما عالجوها و خلفه الآفة مما يادف منه الناس من الاحوال و علاج هذه الاسباب و اللواحق يكون باضدادها و ذلك
ان قوة النفس التي تمرض بهذا المرض اعني الجبن و الخور فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية راسا حتى يجلب اليه من مكانه
اخرى لكنها تكون ناقصة عن الواجب بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الريح و النفخ فهي تتحرك لا محالة اذا حركت بما
يلائمها فتثبت ما في طبيعتها من الوقد و التلهب وقد حكي عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها و يحمل نفسه
على المخاطرات العظيمة [illegible] و يركب البحر عند اضطرابه ليعود نفسه الثبات في المخاوف و يحرك منها القوة التي تسكن
عند الحاجة الى حركتها و يخرجها عن رذيلة الكسل [illegible] و لا يكره لصاحب مثل هذا المرض [illegible] و التعرض للاهانة و خصومة
من يامن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس الطبيعية و احسن وجودها
[illegible] من الوقوع في الجانب الآخر الذي [illegible] علاجه لما كان الخوف الشديد بل
ضعف عن امر النفس [illegible] يجب ان نذكره و نذكر اسبابه و علاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه
و انتظار محذور و التوقع و الانتظار انما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل و هذه الحوادث ربما كانت عظيمة و ربما كانت
يسيرة و ربما كانت ضرورية و ربما كانت ممكنة و الامور الممكنة ربما كنا نحن اسبابها و ربما كان غيرنا سببها و جميع هذه الاقسام
ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة فهي بالجملة مترددة بين ان يكون و بين ان لا يكون و ليس يجب ان يحكم على ما يمكن له
فيستشعر الخوف منها فيجعل مكروه التالم بها و هي بعد لم تقع و لعلها لا تقع و قد احسن الشاعر في قوله شعر و قل للفؤاد ان
نزا بك نزوة من الروع [illegible] الروع بالعلم [illegible] فهذه حال ما كان منها عن سبب من خارج و قد اعلمناك انها ليست
من الواجبات التي لا بد من وقوعها و ما كان كذلك فالخوف من مكروه يجب ان يكون على قدر حدوثه و انما يحصل العيش في
[illegible] بالظن الجميل و الامل القوي و ترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره و اما ما كان سببه اختيارنا
و جنايتنا على انفسنا فينبغي ان نحترس منه بترك الذنوب و الجنايات التي تخاف عواقبها و لا نقدم على امر لا نامن غائلته
فان هذا فصل من [illegible] ان الممكن هو الذي يجوز ان يكون و يجوز ان لا يكون و ذلك انه اذا اتى ذنبا و جنى جناية
قد يرى نفسه [illegible] فلا [illegible] لانه [illegible] عنه [illegible] و كانه يجعل طبيعة الممكن واجبا
ان هذه القسمة [illegible] و يجعل ايضا الممكن واجبا الا ان هذا امر [illegible] الجانب الماضي
اعني [illegible] ان الممكن انما كان متوسطا بين جانبي الواجب و الممتنع [illegible] كالشيء الذي له جهتان احدهما

تلي الواجب والاخرى تلي الممتنع ومثال ذلك خط اح ب فنقطة ا هي الجانب الواجب ونقطة ب هي الجانب الممتنع وموضع ح هو الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد له الى نقطة ا جهة وله الى نقطة ب جهة واذا صار مستقبله ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل اما في جانب الواجب واما في جانب الممتنع وليس ينبغي مادام ممكنا ان يحسب لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبيعة الخاص ويعلم انه يمكن ان يصير الى هنا والى هناك ولهذا قال الحكماء جوّزوا الامور الممكنة في اعقابها واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه من احتمال العمر الطويل فلا بد لصاحبه من الهرم واستشعار ما لا بد منه ومع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحيوة اعني القوى الجاذبة والدافعة والممسكة والغاذية وسائر ما يتبعها من مواد الحيوة وليست الامراض والالام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحباب وفقد الاعزة فليستشعرها الملتزم بشرائطها في مبدأ كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجيها ويدعو ببقائه حتى يبلغ الى ذلك ويتمناها ويسأل الله تعالى فيها عند الصلوات وفي المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم ما يلحق الانسان منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع المخاوف وجب ان نقدم الكلام فيه فنقول ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى موجودا وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد او لانه يظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما تقدمته وادت اليه وكانت سبب حلوله او لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت او لانه متحير لا يدري على اي شيء يقدم بعد الموت او لانه ياسف على ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جهل الموت ولم يدر ما هو فانا نبين له ان الموت ليس بشيء اكثر من ترك النفس استعمال الآلات وهي الاعضاء التي مجموعها يسمى بدنا كما يترك الصانع استعمال الآلات فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم تتقدمه وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء في موضعه الخاص ومن تطلع اليه وانشط للوقوف عليه لم يبعد منه ومن قنع بما ذكرنا في صدر هذا الكتاب سكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له كل المباينة

بذاته وخواصه وافعاله وآثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التي شرطنا بقي البقاء الذي يخصه ونقي من كدر الطبيعة
وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض والخواص
والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضد له وكل شيء يفسد فانما فساده من ضده وقد يمكنك
ان تقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تأملت الجوهر الجسماني الذي هو اخس من ذلك
الجوهر الكريم واستقريت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شيء
منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخارا او هواء وكذلك
الهواء يستحيل ماء ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه باق لا سبيل الى عدمه هذا
في الجوهر الجسماني القابل للاستحالة والتغير فاما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيرا في ذاته وانما يقبل كمالاته
وتمامات صورة فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي واما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما
يجهل ما ينبغي ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب
به وتركوا لاجله لذات النفس وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر وراوا ان الراحة التي تستراح بها من الجهل
هي الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة
ابدية فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة به هانت عليهم امور الدنيا
كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي اليها اذا كانت قليلة
الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت فاقتصروا فيها على المقدار
الضروري في الحياة وتسلوا عن فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية
وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تاقت نفسه الى غاية اخرى من غير توقف على حد ولا انتهاء الى امد وهذا
هو الموت ولا ما يخاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والتشاغل به هو التشاغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء
الحكم بان الموت موتان موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الارادي
اماتة الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالموت الطبيعي مفارقة النفس البدن وعنوا بالحياة الارادية ما يسعى له

له الانسان فى حيوة الدنيا من المأكل والمشارب والشهوات وبالحيوة الذاتية ببقاء النفس المرهوبة فى الغبطة
الابدية بما يستفيده من العلوم وبرائه من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال له مت بالارادة تحيى
بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغى ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد
الانسان لانه حى ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شئ هو مركب من حده وحده
مركب من جنسه وفصوله وان جنس الانسان هو الحى وفصله هو الناطق المائت علم انه سينحل الى جنسه وفصله لان كل مركب
لا محالة سينحل الى الشئ الذى منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوء حالا ممن يظن ان فناءه بحيوته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلى منزلته ويحل رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الاسر لا
من الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا ويثق بان الجوهر الشريف الالهى اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسمانى
خلاص نقاء وصفاء لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح
الطيبة من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واغياره ومن ههنا نعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهى مشتاقة
اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهى فى غاية الشقاء والبعد من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرها
طالبة قرارا من لا قرار له فاما من ظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التى ربما اتفقت ان تتقدمه وادت اليه فعلاجه ان يبين
له ان هذا الظن كاذب لان الالم انما يكون للحى والحى هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذى ليس فيه اثر النفس فانه
لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول
اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مولم لانه فراق ما به كان يحس ويتألم فاما من يخاف الموت لاجل العقاب الذى يوعد به بعده فينبغى ان يبين له انه ليس يخاف
الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شئ باق بعد البدن الداثر ومن اعترف بشئ باق منه بعد البدن فهو لا محالة
سيعترف بذنوب له وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات
فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما
تقدم ان الافعال الردية التى تسمى ذنوبا انما تصدر عن هيئات ردية والهيئات الردية هى للنفس هى الرذائل التى احصيناها

وعرفناك اضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة هو جاهل بما ينبغي ان يخاف
منه وخائف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم وهي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك
بحكمته وقد عرفناك مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف وانما يحزن على ما يخلف من اهل
وولد ومال ويتاسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن تعجل الم ومكروه
على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب مفرد له خاص لانا في هذا الباب انما نذكر الم الخوف وعلاجه
وقد اثبتنا منه على ما فيه مقنع وكفاية الا انا نزيده بيانا ووضوحا فنقول ان الانسان من جملة الامور الكائنة فقد تبين في
الاراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن احب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد ذاته فكانه يحب ان يفسد ويحب ان لا يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو
لم يمت اسلافنا واباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من تقدمنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من
التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول قدر ان رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة سنة
هو موجود الان وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين معروفين مثل علي ابن ابيطالب عليه السلام
مثلا وولد له اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار من يجتمع منهم في وقتنا
هذا فانك ستجدهم اكثر من عشرة الف الف رجل وذلك ان بقيتهم الان مع ما قد رفع فيهم من الموت والقتل الذريع اكثر من
مائة الف انسان واحسب لكل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض شرقها وغربها مثل هذا الحساب فانهم اذا
تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدة فاذا مسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة تعلم ان الارض
حينئذ لا يسعهم قياما متراصين فكيف قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد
ولا حركة فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فهذه
حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغباوة فاذن الحكمة البالغة
والعدل المبسوط والتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي لا يتوهم غاية
اخرى بعده يستزاد ولا يحسب فقد والخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه ثم فقد

فقد ظهر ظهورا حسيا ان الموت ليس برديء كما يظنه الناس وانما الرديء هو الخوف منه وان الذي يخاف منه هو
الجاهل به وبذاته وقد كان ظهر ايضا مما تقدم من قولنا ان حقيقة الموت هو مفارقة النفس البدن وهذه المفارقة
ليست فسادا للنفس انما هو فساد للتركيب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزمه
ما لزم في الاجسام مما اوردناه قبل بل لا يلزمه شيء من اعراض الاجسام اي لا يتزاحم في المكان لانه لا يحتاج
الى مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كمالا فاذا كمل بها
ثم تخلص منها صار الى عالمه الشريف القريب الى باريه ومنشيه تعالى وتقدس وهذا الكمال الذي يستفيده بهذا
العالم الحسي قد بيناه وعرفناك الطريق اليه بما سلف في هذا الكتاب وانه السعادة القصوى للانسان واعلمناك
ضد الذي هو الشقاء الاقصى واثبتنا مع ذلك مراتب السعادة ومنازل الابرار ودرجاتهم من رضوان الله عز وجل في جنته التي
هي دار القرار كما بينا لك مراتب اضدادهم من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية بلا قرار نسال الله حسن التوفيق على ما
يقربنا منه انه جواد كريم رؤوف رحيم **علاج الحزن** الحزن الم نفساني يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب
سببه الحرص على القنيات الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده او يفوته منها وانما يحزن من يجزع على
فقد محبوب او فوت مطلوب من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنيا يمكن ان يبقى ويثبت عنده وان جميع ما يطلبه من
مفقوداتها لا بد ان يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما
الثابت الباقي هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه فاذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقد ما يهواه ولا لفوت ما يتمناه
في هذا العالم فصرف سعيه الى المطلوبات الصافية واقتصر بهمته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس في طبعه ان يثبت
ويبقى فاذا حصل له منها شيء بادر الى وضعه في موضعه واخذ منها مقدار الحاجة الى دفع الالام التي احصيناها
من الجوع والعري والضرورات التي تشبهها وترك الادخار والاستكثار والتماس المباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة
بما في القنية لها فاذا فارقته لم يأسف عليها ولم يبال بها فان من فعل ذلك امن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد
ولم يشق ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منقض
وذلك انه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم الكون والفساد و
من طمع من الكائن الفاسد ان لا يكون ولا يفسد فقد طمع في المحال ومن طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب ابدا

محزون والمحزون شقى ومن استشعر بالعادة الجميلة لن يرضى بحمل ما ... ولا يحزن لشى يفوته لم نزل مسرورا سعيدا فان
ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم او لا ينتفع به فلينظر الى استشعار الناس في مطالبهم ومعايشهم واحوالهم فيها
بحسب قوة الاستشعار فانه يتبين ويتبينه ظاهرا فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها وسرورا صحاب الحرف المختلفة بها
على تباينها والتصنع ذلك في طبقة طبقة من الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندى بشجاعته والمقامر
بقماره والمناطر بشطارته حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقدها والمحزون من غبى
عنها وحرم لذاتها وليس ذلك الا بقوة استشعار كل طائفة بحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة اذا لزم
طالب الفضيلة مذهبه وقوى استشعاره وحسن رأيه وطالت عادته كان اولى بالسرور من هذه الطبقات
الذين يغلطون في حجة التصور كان اخطأهم بالنعيم المقيم لانه محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون ثم هو صحيح وهم
مرضى وهو سعيد وهم اشقياء وهو ولى الله وهم اعداؤه وقد قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقال الكندى في كتاب دفع الاحزان مما يدلك دلالة واضحة على ان الحزن شيء يجلبه الانسان
بنفسه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد ملكا او طلب امرا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه
ذلك نظرا حكميا وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم تلك الاشياء
وهم غير محزونين بل فرحون مغتبطين علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضرورى ولا طبيعى وان من حزن من
الناس وجلب لنفسه هذا العارض فلا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعى فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد
والاعزة والاصدقاء والاحبة من اشتد حزنهم عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال السرور والضحك والغبطة و
يصيروا الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من يفقد المال والضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يعز عليه
ويحزن فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعود الى النشاط واغتباطه فالعاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه
علم انه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بحدوث بلية وان عامته من مصيبة السابقة وان الحزن هو مرض
عارض يجرى مجرى سائر الادواء ... لنفسه عارضا ... مرضا وضعفا ... طبع وينبغى ان يتذكر
ما قدمناه ذكره من حال من يحب نعمة على من لبسها وتمتع بها ثم لبس ... عيرة ويتمتع بها ... سواء ... نفسه
نفسه فيها فظن انها هو هوية ... ... فلما احدث منه ... ... هذه ... ... فلا

لا مطمع فيه وهذه حال الحسود لانه يحب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس له والحسد ابلغ الامراض واشد الشقاء
ولذلك قالت الحكماء من احب ان ينال اعداؤه الشر فهو محب للشر ومحب الشر شرير وشر من هذا من احب الشر لمن
ليس له بعدو واسوأ حالا من هذا من احب ان لا ينال اصدقاؤه خيرا ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد
احب له الشر ويجري من هذه الرداءة ان الحزن على ما ينال الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون
اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتن ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس
وهي ودايع الله عز وجل عند خلقه وله ان يرتجع العارية متى شاء على يد من شاء ولا سبة علينا ولا عار اذا ارتجع منا الودايع وانما
العار والسبة ان نحزن اذا ارتجع منا منها وهو مع ذلك كفر للنعمة لان اقل ما يجب من الشكر للمعير ان يرد عاريته
على طيب نفس ويسرع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع اخسه قال وعنى
بالافضل الاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركه فيه احد اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبة لنا فانها لا ترتجع
لنسترد ونقول له الاقل الاخس لما اقتضاه العقل فقد ابقى لنا الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان يحزن بكل ما
قد يفقد لوجب ان يكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل ان لا يفكر في الاشياء الضارة المولمة وان يقلل من القنية
ما استطاع اذ كان فقدها سببا للاحزان فقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه
وقلة حزنه فقال لاني لا اقتني ما اذا فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العامة
التي تخص النفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على شفايها فليس يعذر على العاقل
المحب للنفس التماس ما به يخلصها من الامها ويحميها من مهالكها ان تصيبها الامراض
التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداوي نفسه منها ويداويها
بما بالاقامة على العلاجات والرغبة الى الله عز وجل بعد ذلك في
التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد والسعي لنيل طلبها
الا بالاخر والحمد لله رب العالمين والصلاة
على نبيه محمد واله
الطاهرين
تم

خاتمة الطبع

الحمد لله الذي هذب الانسان بتهذيب الاخلاق وطهره تطهيرا + وفضله على سائر المخلوقات بالفضائل العلمية ووقره توقيرا
والصلوة والسلام على رسوله محمد الذي شرف العالم بالايمان ونوره تنويرا + وعلى آله واصحابه الذين هم جمعوا القرآن الكريم
وفسروه تفسيرا + اما بعد فيقول العبد المفتاق الى رحمة الله القوي المدعو به محمد معشوق علي تجاوز الله عن شرك جلي
وخفي + ان الرسالة المسماة بكتاب الطهارة في تهذيب الاخلاق للحكيم الكامل من المتاخرين + وهو ابو علي بن
يعقوب مسكويه الخازن الرازي + لما كانت مشتملة على فوائد لطيفة + وقواعد شريفة + ومطالب عجيبة + ونكات
غريبة + وصارت لقصور همم الطالبين مستورة تحت الاستار + حتى لم توجد الا نسخة واحدة ناقصة في هذه الاعصار
فتوجه عنان عناية الصاحب المكرم + والحاكم المعظم + المنصف المفخم + العادل الاكرم + السخي الاعظم + كپتان
فلپ هرسی صاحب بهادر قائم مقام صاحب رزيڈنٹ بهادر بيت السلطنت لكهنو + لا زال شموس
اقباله طالعة + الى ان يظهرها غاية الاظهار + وينشرها نهاية الانتشار + ويشهرها كالشمس في نصف النهار
والبدر في ليالي الاقمار + فامر بطبعها في المطبعة العلوية + فكلفني صاحب المطبع بتصحيحه و
تنقيحه + وحل لغاته وتوضيحه + فلما آل جهدي فيه الى نهايته وقع الفراغ عن طبع ذلك الكتاب
نهار الثالث عشر من شهر صفر المظفر + سنة الف ومائتين واحدى وثمانين
من الهجرة المقدسة + على صاحبها الصلوة
والتحية + فالحمد لله اولا وآخرا +

فقط + + + +

+ + +

+